كانو الثقافية

مجلة ثقافية نصف سنوية - تصدرها جائزة يوسف بن أحمد كانو
العدد الأول - ذو القعدة ١٤٢٩هـ - نوفمبر ٢٠٠٨م

في هذا العدد

العرب ليسوا غرباء على (الثقافة) ولاعلى (العولمة) ولا على (الأخر).
د. سعيد بن عطية أبو عالي

يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة، وأن تدرس السنة دراسة جيدة، وأن يُفهما على وفق ما تتطلب اللغة العربية في فقهها وآدابها من المعاني.
أ. دكتور محمد عمارة مصطفى عمارة.

جوعان في القبر بلا غذاء عريان في الثلج بلا رداء
د. محمد عبدالرحمن يونس

نحن لا نتفق مع من يهاجمون الاسلام ويحملونه تبعات اخطاء من ينتسبون اليه ..
د. يمنى استيت.

سمو الشيخ سلمان بن حمد ولي العهد يكرم
الدكتور محمد عمارة الفائز بالجائزة في مجال الثقافة الاسلامية

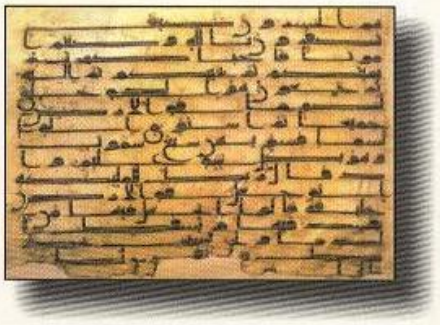

منزلة العلم والعلماء في القرآن.

الطفرات النفطية وادارة عوائد النفط

كانو الثقافية

مجلة ثقافية نصف سنوية تأسست عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
تصدرها جائزة يوسف بن أحمد كانو بمملكة البحرين
العدد الأول ***رجب ١٤٢٩هـ - يوليو ٢٠٠٨م***

هيئة التحرير
د. سعيد بن عطية أبو عالي رئيس التحرير
د. عبداللطيف بن جاسم كانو نائب الرئيس
أ. مبارك بن سعد العطوي مسؤول التحرير والعلاقات العامة

المستشارون
أ. د. محمد مصطفى عمارة (مصر)
د. إبراهيم جمال الهاشمي (البحرين)
أ. د. إبراهيم عبدالله غلوم (البحرين)
أ. د. رياض حمزة (البحرين)

العنـــوان
جائزة يوسف بن أحمد كانو
ص.ب ١١٧٠
المنامة – مملكة البحرين

هاتف :
+ ٩٧٣١٧٢٢٠٨٢٩

فاكس :
+ ٩٧٣١٧٢٢٦١٥٤

البريد الإلكتروني
kanooawd@batelco.com.bh

الموقع الإلكتروني
www.ybakanooaward.com

قواعد النــشر

- هذه المجلة تصدرها" جائزة يوسف بن أحمد كانو " لتساهم في تنمية الإبداع والثقافة والتقدم العلمي .
- المجلــة ترحــب بــالبحوث والدراســات العلميــة فــي جميــع المجــالات الأدبيــة والاجتماعية والاقتصادية والعلمية . وتحتفي أيضاً بالموضوعات المتعلقة بالطب والعلوم الطبية ، ومجال التكنولوجيا والمعلومات إلى جانب الدراسات المستقبلية .
- الخرائط التي تنشر بالمجلة توضيحية وليست مرجعاً للحدود الدولية .
- البيانات والإحصاءات تقريبية .
- المجلة لا تلتزم بإعادة المواد التي تتلقاها للنشر .
- ما ينشر يعبر عن رأي الكاتب ولا يعبر عن رأي المجلة .
- يجوز الاقتباس فيما ينشر شرط الإشارة إلى المجلة ورقم العدد وتاريخ الإصدار ، وإلا اعتبر خرقاً لقانون الملكية الفكرية .
- ترسل الأعمال على قرص مدمج (إن أمكن) ويرفق عنوان كامل للكاتب . وسيرة ذاتية إذا كان يكتب لأول مرة في هذه المجلة .
- المجلة ترحب بكل نقد وتوجيه واقتراح .

يسعدنا أن نتلقى رسائلكم بواسطة البريد أو على جهاز اللاقط (الفاكس) أو على البريد الإلكتروني .

وللجميع شكرنا وتقديرنا ،،،

هيئة التحرير

المحتويات

فكـــر

مدخل إلى بناء مجتمع المعرفة (حديث العدد) — د. سعيد بن عطية أبو عالي — ٥

دين وثقافة دينية

تهذيب التراث الإسلامي — أ. د. محمد مصطفى عمارة — ١٠

منزلة العلم والعلماء عند المسلمين — د. عبداللطيف كانو — ٢٥

أدب

أسطورة تموز وعشتار في شعر بد شاكر السيّاب — أ.د. محمد عبدالرحمن يونس — ٣١

أدب الطفل في المملكة العربية السعودية — د. صباح عبدالكريم عيسوي — ٥٢

مَن معي ؟؟؟ (قصيدة) — حسن محمد حسن الزهراني — ٧٦

على محيا السحاب (قصيدة) — د. نبيلة زباري — ٨١

حنانيك (قصيدة) — د. أحمد الريماوي — ٨٤

دراسات وبحوث

المرأة .. بطول التاريخ وعرض الجغرافيا . — د. يمنى استيت — ٨٨

مال واقتصاد

الطفرات النفطية وإدارة عوائد النفط في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية — د. نبيل حشاد — ١١٢

شخصية العدد

العالم يكرم سمو رئيس وزراء مملكة البحرين — مبارك بن سعد العطوي — ١٣١

فكـــــــر

حديث العدد

د. سعيد بن عطية أبو عالي

مدخل إلى بناء مجتمع المعرفة

العرب ليسوا غرباء على (الثقافة) ولا على (العولمة) ولا على (الآخر) . عرفهم الناس وتعرفوا إليهم من خلال رحلاتهم التجارية إلى اليمن في الشتاء ولقاءاتهم هناك مع الأحباش (أفريقيا) ومن خلال رحلات الصيف إلى الشام وتعاملاتهم مع الروم والفرس (آسيا وأوربا) . امتلكوا معرفةً دقيقة بالتجارة عموماً ، والتجارة البينية وطريقة استيراد وتصدير وتخزين وتسويق البضائع المختلفة .. ولذلك عاشوا ما نسميه (العولمة) قبل قرون من زماننا هذا .. ولك أيها القارئ العزيز أن تلحظ اختلاف اللغات ، وتباين الثقافات وهكذا عاشوا وتعايشوا مع الآخر . شعرهم ونثرهم وأمثالهم وأسواقهم وأحلافهم وعلمهم باللغات طبعت ثقافتهم .

البيئة التي تعامل معها العرب تمددت جغرافياً من خليج عدن إلى أصقاع فارس وبلاد الروم باعتبار رحلاتهم التجارية التي ذكرها القرآن الكريم في سورة كاملة سميت باسم "قريش" . والعقل العربي تعامل مع ثقافات أجنبية عديدة أخذ منها وأضاف إليها . وتمكن هذا العقل من صياغة لغة ذات حروف أبجدية ، وقواعد نحوية ، وتصريفات أفعال ، وأساليب بلاغية ، وإبداع شعري ، وفصاحة نثرية ، وأمثال تؤطر للحياة الاجتماعية وأساساتها الفكرية حتى أن القرآن الكريم جاء تحدياً للعرب في لغتهم وأساليبها فبهرهم حتى وجدوا أن لا شبيه له ، وأن لا طاقة لهم بمحاكاته ، فانحنوا له إعجاباً بجمال بيانه وآمنوا بما جاء فيه ، واتبعوا النبي العربي الأمي الذي جاءهم بهذا القرآن المعجز بلاغةً وحقاً وجمالاً .

أثبت القرآن الكريم أن الله (كرم) بني آدم .. كل بني آدم (وفضلهم) على كثير ممن خلق . وميز الله (بني آدم) بالعقل . فجاء الخطاب القرآني للذين آمنوا ، ولذوي الألباب لعلهم (يعلمون) و (يعقلون) و (يفكرون) .

وأخذ العلم مكانة مركزية ومحورية في القرآن الكريم والسنة المطهرة { إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم } [سورة العلق ، الآيات ١ – ٥] ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام بشر طلاب العلم بأن من سلك طريقاً يطلب فيه علماً يسر الله له طريقاً إلى الجنة . وهكذا تكون الثقافة ارتكزت على تكريم الإنسان ، وعلى العلم ، وعلى التفكير وعلى الحوار ، لأن (الدعوة) إلى الدين حوار .

ومع هذا الألق الثقافي والفكري الذي سجله التاريخ للعرب فإن حالتهم الثقافية اليوم لا تسر ، وذلك نتيجة التخلف الذي عاشوه من مئات السنين ، وخاصةً بعد زوال دولة العرب في الأندلس . وقد نتجت حالة التخلف هذه لما تكاسل العرب عن :

(١) طلب العلم وتطبيقه على حياتهم اليومية .

(٢) البحث عن أساليب جديدة للحياة .

(٣) تطوير معارفهم الأساسية وتوسيعها بما يستوعب تنوع مظاهر الحياة وتعقيداتها بحكم تقارب شعوب مختلفة ، وظهور مصالح متعددة في إطار الدولة الإسلامية .

ولكن هل يمكننا أن نصوغ ثقافة ؟ بل هل نستطيع أن نجدد ثقافة أمتنا حتى تعود قوةً مساهمة في بناء المعرفة الإنسانية ؟ إن المتأمل للتاريخ حقائقه وقوانينه لا يملك إلا أن يقول نعم. فكما أسلفت فإن أهلنا كانوا أهل ثقافة وأصحاب علاقات إنسانية .. بل إنهم كانو يتمتعون بعقلية فاحصة مبدعة . ومنطق التاريخ يؤيد كل حركة تنويرية مبدعة . والسؤال الأصعب يظل هو : "كيف " ؟!

إنني أنظر إلى واقعنا بثقة في علمائنا وطلابنا .. وأقصد بالعلماء أولئك العارفين بأمور الدين كما هو قصدي بالنسبة إلى علماء اللغة والمنطق والرياضيات والفلك والكيمياء والطبيعة والطب والزراعة والصناعة والإدارة والفضاء . وأقصد بالطلاب جميع أجيالنا الصاعدة في المدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي سواء داخل البلاد العربية أو خارجها .

أعود وأحاول طرح أفكار للإجابة عن السؤال الصعب " كيف ؟ "

إننا في ديارنا العربية الواسعة بحاجة إلى الاعتراف بحق إنساننا العربي في امتلاك مصيره. إن ثقافتنا تدعو الشباب إلى اختيار الأفضل من الفتيات لتكون زوجاً له وأما لأبنائه فيما بعد .وهذه خطوة أولى وأساسية في سبيل إعداد جيل صالح . وبذلك فإن للجيل القادم الحق في تعليم يهدف إلى تنشيط العقل الذي يستطيع به الإنسان التمييز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين المثالية والواقعية ، وينطلق نحو مستقبل تسوده المعرفة والبحث والابتكار والخيال والجمال .

إن مناهج التعليم في مدارسنا وجامعاتنا يجب أن تتوجه لصياغة عقل متنور ومتجدد يسمح بالحوار مع الذات ومع الآخر ، ويبحث عن الحقيقة ، وينبذ الخرافة ، ويزرع الأمل ، ويشجع الإبداع . عقل ينحاز إلى الحرية .

والمناهج التي تحقق هذا الهدف تحتاج إلى " نظام تعليمي " متجدد يعدُّ المعلم الماهر "المثقف" ويضمن له حقوقه في حياة كريمة له ولأبنائه . والمعلم لا يستطيع القيام بواجبه كاملاً إلا في مدرسة أو جامعة تتخذ من التقنيات التعليمية الحديثة أدوات لنقل المعلومات إلى الجيل الشاب ، واستثارة كوامن المعرفة المتجددة لديه في نفس الوقت . نظام تعليمي يؤمن بأن مصادر التعلُّم تنوعت ، وأساليب التعليم تغيرت وتطورت . نظام يهتم بمستوى التحصيل "الثقافي" ويسعى إلى تزويد الجيل بوسائل يستطيع بواسطتها تطوير ذاته وتجديد معارفه . نظام يؤمن بأن الجيل القادم ليس متلقياً فحسب بل إنه عامل مؤثر في عمليتي التعلُّم والتعليم . نظام تعليمي منفتح على كل جديد في عالم الفكر والثقافة والتقنية . إننا في ديارنا العربية لا نستطيع أن نبقى نقلة (من الفعل نقل) أخبار عن تقدم العالم ، لا بد لنا من عقل يستفيد من معطيات العلم ، بل يطورها ويجدد فيها .

أزعم أننا عندما نعدُّ المعلم الماهر "المثقف" المتجدد في علومه وطرائق تدريسه فإنه سيزودنا بمخرجات تعليمية قوامها علماء قادرين على صياغة ثقافة متجددة في ذاتها ، ومجددة لحركة الحضارة الإنسانية ، وعالمة بوسائل وأساليب تطوير الحياة التي يتوفر فيها

العيش الكريم للإنسان .. كل إنسان حيثما كان مثلما حدث مع أسلافنا في سابق الزمان . نظام يعتمد الأفعال لا الأقوال .

إذا اعتمدنا أسلوب التعليم الذي يحترم العقل وينميه ، ويبحث عن الحقيقة ويستفيد منها ويضيف إليها فإننا نستطيع عندئذٍ أن نبني مجتمعاً يعتمد المعرفة أسلوب حياة .

إن مجتمع المعرفة لا يكون إلا نتيجة لعملية تربوية اجتماعية تستهدف إعداد الإنسان الذي ينهل من العلم أقصى ما يستطيع للنظر في الكون من ناحية ولاستثارة ما يختزنه في داخل ذاته من كوامن معرفية تسهم في تطوير وتوسيع المعارف الإنسانية . مجتمع المعرفة هو الذي يؤسس ثقافة جديدة تقوم على :

- الحرية للفرد والمجتمع .
- احترام حقوق الآخر وصيانة حريته .
- المساواة (الديمقراطية) .
- العدالة .
- احترام العقل .
- القدرة على التغيير وإرادة التغيير .
- الشجاعة (كلمة الحق والدفاع عنها) .
- نظام تعليمي متجدد .
- التفكير والبحث في النفس وفي الآفاق .
- الحوار .
- التعامل مع الآخر .

والطرق الممكنة لبناء هكذا مجتمع متعددة منها :

- بناء مشروع نهضوي خلاق يملك إستراتيجية بعيدة المدى ووسائل تحقيقها .
- بناء مناهج تعليمية متجددة تحترم العقل وتفجر مكامن الإبداع والابتكار .
- بناء نظام اجتماعي يكفل للإنسان حقوقه ويحترم الآخر .
- بناء مؤسسات تشريعية تحافظ على العدالة والمساواة والشفافية .

لعلّي بهذا المدخل أستطيع أن أوجه دعوة للمفكرين والمربين لكي يجودوا برؤاهم وأفكارهم في سبيل بناء نهضة شاملة ترفد الحضارة وتؤصل مفاهيمها وتهديها إلى خير الإنسانية كلها ..

دين وثقافة دينية

تهذيب التراث الإسلامي

الأستاذ الدكتور محمد عمارة مصطفى عمارة *

تراثنا الإسلامي : هو الميراث الذي انفلكته الأمة ، وعاشت عليه ، وأضافت إليه وطورته في مختلف مي

ادين العلم والمعرفة والفكر والآداب والفنون منذ ظهور الإسلام وحتى العصر الذي نعيش فيه ، وهو التراث الذي أحيا واستوعب من مواريث شعوب الأمة الحياتية التي ثبتت ظهور الإسلام .

وهذا التراث منه ما هو وحي إلهي ، مقدس ومعصوم ، وهو القرآن الكريم "ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا " – فاطر ٣٢. وتأتي السنة النبوية الصحيحة لتمثيل البيان النبوي لهذا البلاغ القرآني ، ولتكتسب العصمة إذا كانت متواترة قطعية الثبوت ،أو عملية تجسدت في أرض الواقع ،وشهدت عليها الأمة ، ومارستها جيلاً بعد جيل .

وهذا التراث المقدس – الوحي ، والبيان النبوي للوحي لايسمى فكر لأن الفكر عملية بشرية خالصة ، وإبداع إنساني ، وثمرة للتفكر والتدبر والتعقل والتأمل ، وجميعها من صفات الإنسان التي يتنزه عنها الله –سبحان وتعالى – الذي "ليس كمثله شي وهو السميع البصير"-الشورى ١١. فالتراث المقدس هو علم إلهي كلي ومطلق ومحيط وهو مصدر الوجود بينما الفكر البشري هو معارف إنسانية ،منها الديني هو ثمرة للتفكير في الوجود ، ولذلك يوصف الله –سبحانه وتعالى –"بالعالم " ولا يوصف " بالمفكر " ولا "بالعارف " لأن المعارف كسبية وجزئية، وغالباً ما يسبقها جهل وتلك جميعها من صفات الإنسان التي يتنزه عنها الله – سبحانه وتعالى .

ومن الأمثلة على هذا " التمييز " في التراث والموروث : " الشريعة " و"الفقه " ، فالشريعة وضع إلهي ثابت بينما الفقه اجتهاد بشري محكوم بإطار الشريعة وقواعدها ، ولذلك كان "الشارع "هو الله – ولا يوصف بالفقيه – وكان الفقيه هو الإنسان المجتهد في الأحكام الشرعية ولا يسمى شارعاً .

إن إبداع الأمة الإسلامية ، الذي كون تراثنا الإسلامي ، هو فكر غير مقدس ولا معصوم دخل جمعيه في باب الاجتهاد الذي لا عصمة له ، والذي تجوز مراجعته بل قد تجب هذه المراجعة لهذا اللون من التراث في كثير من الأحيان .

ولقد عرف تراثنا الإسلامي منذ أن استوى " فن التدوين" في حضارتنا قبل أكثر من ألف عام فنون تحقيق التراث وهو فن "تهذيب " هذا التراث ، أو مراجعته وإعادة إخراجه في صورة أفضل ، سواء من حيث الشكل أو المضمون . والذين يراجعون فهارس المخطوطات العربية الإسلامية التي تعد بالملايين وعناوين الكتب التي طبعت من هذه المخطوطات سيجدون آلافا من عناوين الكتب التي هي تهذيب لكتب كتبها السابقون .

وفي أول " معجم " رصد عناوين المطبوعات التي طبعتها المطابع العربية في عصرنا الحديث " معجم المطبوعات العربية " ليوسف إليان سركيس " ١٨٥٦-١٩٣٢ "

وهو الذي رصد عناوين المطبوعات حتى عشرينيات القرن العشرين الميلادي نجد العديد من العناوين التي تؤكد على هذه الحقيقة ، حقيقة أن "تهذيب التراث " هو فن قديم وأصيل في التعامل مع التراث .

فهناك كتب : " تهذيب الأسماء واللغات " ، "وتهذيب إصلاح المنطق " ،"وتهذيب التاريخ الكبير " لابن عساكر (٩٩٤-١٧٥هـ ، ١١٠٥-١١٧٦م) " وتهذيب المنطق والكلام " ، "وتهذيب الوصول إلى علم الأصول " ،" واللباب في تهذيب الأنساب " وإلخ ... كما نجد فيما طبع بعد هذا التاريخ : "تهذيب سيرة ابن هشام " ، "وتهذيب الكامل في اللغة والأدب"،"وتهذيب الصحاح " ،"وتهذيب الأغاني "وغيرها الكثير في هذا الفن من فنون التعامل مع التراث .

بل إننا إذا نظرنا في كتب السنة النبوية الشريفة ،سنجدها جميعها –الصحاح منها والمسانيد –قد قامت على فن التهذيب والغربلة والاختيار من بين المرويات نسبة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فصحيح البخاري وهو أصح كتب الحديث النبوي قد جاء ثمرة لاجتهاد الإمام البخاري (١٩٤ -٢٥٦هـ -٨١٠-٨٧٠م) في الفرز والغربلة والنقد والفحص والتمحيص وفق قواعد "الرواية " و"الدراية " كانت حصيلته نحو ثلاثة آلاف حديث إذا استثنينا المكرر استخلصها البخاري من بين آلاف المرويات التي نسبت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذلك عين "التهذيب "لهذه الآلاف المؤلفة من المرويات .

وإذا كان الإمام السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ ١٤٤٥-١٥٠٥م)قد جمع في الجامع الكبير مئات الألوف من الأحاديث ، وإذا كان الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ ٧٨٠-٨٥٥م)قد جمع في مسنده أكثر من ثلاثين ألف حديث فإن الإمام مالك بن انس (٩٣-١٧٩هـ٧١٢-٧٩٥م) قد وقف في (الموطأ) عند مئات من الأحاديث فقط لا غير .. وتلك نماذج لتفاوت الاجتهادات في الغربلة والفحص والنقد والتدقيق أي التهذيب للمرويات .

ولذلك ، وجدنا نهج "التهذيب " أي الاختيار واضحاً عند علماء السنة النبوية في التعامل مع الكتب التي جمعت مروياتها ، فالبخاري مثلاً مقدم على غيره من الصحاح والمسانيد وما اتفق عليه الشيخان البخاري والمسلم (٢٠٤ -٢٦١ هـ ٨٢٠-٨٧٥م) له مكانة متميزة على مالم يتفقا عليه . ثم جاءت مصنفات حديثيه كثيرة اختارت واصطفت من كتب الصحاح ومن أشهرها في عصرنا الحديث " صفوة صحيح البخاري " للعلامة الشيخ عبد الجليل عيسى (١٣٠٥-١٤٠٠هـ ١٨٨٨ -١٩٨٠م) والمنتخب من السنة الذي أنجزه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

ولقد حدث هذا التهذيب والاختيار والغربلة والمراجعة لكثير من كتب التفسير للقرآن الكريم ، اتخذ ذلك أحياناً بشكل الخلاصة والصفوة والاختصار .

وإذا كان هذا المنهج في التعامل مع التراث – التهذيب لهذا التراث – منهجاً قديماً وأصيلاً ، عرفه أسلافنا ، وطبقوه في مختلف فنون التراث ، فإننا لا نغالي إذا قلنا إننا نحتاج في واقعنا الفكري المعاصر إلى نهضة في تهذيب التراث ، وذلك لترشيد فكرنا الإسلامي

المعاصر ، ولإقامة المصالحة الحقيقية بين هذا التراث وبين حقائق الوحي الإلهي المعصوم من جانب ، وبينه وبين الحقائق العلمية من جانب آخر وعلى سبيل المثال :

١-فإن الكثير من كتب التفسير القديمة للقرآن الكريم قد تسربت إليها بعض من الإسرائيليات المليئة بالقصص الخرافي ، سواء في الحديث عن التواريخ القديمة للأمم السابقة ، أو أخبار بدء الخلق أو في حديث عن المغيبات سواء منها الحكايات عن عالم الغيب أو عن الفتن والملاحم التي ستأتي في آخر الزمان .

وإذا كان الإسلام قد امتاز وتميز – بل وتفرد –بالاقتصاد في الحديث عن المغيبات كي يدفع العقل المسلم للتركيز على الإبداع في عالم الشهادة ، فإن هذه الإسرائيليات قد صرفت العقل المسلم عن رسالته ،وأغرقته في هذا الطوفان بين القصص الخرافي الذي لا أصل له في الوحي القرآني ولا ذكر له فيما تواتر أو صح من أحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم .

ولقد كتبت دراسات نفيسة حول قضية الإسرائيليات في كتب التفسير للقرآن الكريم، وضرورة تنقية هذه الكتب – أي تهذيبها – من هذه الإسرائيليات وذلك مثل كتابات المرحوم الشيخ محمد حسين الذهبي (١٣٣٣-١٣٩٧هـ ١٩١٥-١٩٧٧م) "الإسرائيليات في التفسير الحديث " و " الاتجاهات المنحرفة في التفسير : دوافعها ودفعها " . ومن أحدث هذه الكتابات رسالة الدكتوراه التي أنجزت في كلية دار العلوم والتي تتبعت صاحبتها الأصول العبرية لهذه الإسرائيليات التي تسربت إلى كتب التفاسير والتواريخ –وهي رسالة نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

وإذا كان القرآن الكريم قد جاء معجزة عقلية ، تستحث العقل ليتفكر ويتدبر ويتذكر ، وإذا كان الدين الإسلامي هو علم بالمعنى الدقيق لمصطلح العلم –أي ابن الدليل والعقل والمنطق –وبعبارة الإمام مالك بن أنس : " فإن ديننا هذا علم ، وإن علمنا هذا دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم " –فإن تهذيب كتب التفسير القديمة ، وتنقيتها من القصص الخرافي الذي تسرب إليها ، هو الشرط الضروري لجعل هذه التفاسير متسقة مع العقلانية القرآنية ، ومع المنهاج القرآني في تقدير العلم والعلماء : " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " –آل عمران (١٨).

كما أن هذا التهذيب لهذه التفاسير هو الشرط لتخليص قراء هذه التفاسير من " المنهج الخرافي " ووصلهم بالمنهج العلمي والعقلانية المؤمنة التي بدونها لا سبيل إلى التقدم والنهوض .

إننا بحاجة إلى تهذيب هذه الكتب في تفسير القرآن الكريم تهذيباً ينقيها من هذا القصص الخرافي الإسرائيلي ، مع بقاء مخطوطات وطبعاتها القديمة على حالها ، كمصادر لدراسات الباحثين والمتخصصين " وليس هذا بالأمر الغريب أو الجديد فلدينا في دور الكتب تراث ضخم كتب في السحر والشعوذة وأسرار الحروف والأرقام والتخييم " لا يطلع عليه إلا الباحثون الدارسون الذين يقدمون لدور الكتب شهادات جامعاتهم أو مراكز أبحاثهم الشاهدة على حاجتهم الأكاديمية إلى الإطلاع على هذا التراث .

وكذلك يجب أن يكون الحال مع هذا التراث في التفسير – بعد تهذيبه في الطبعات التي تنشر بين الجمهور – مع بقاء أصوله وقفاً على الباحثين المتخصصين ، الذين يدرسونه في سياقاته التاريخية ويبحثون عن العلل التي أدخلت عليه هذه الإسرائيليات .

٢ – وفي علم العقيدة الإسلامية –علم الكلام الإسلامي – سنجد الكثير من الجدل الذي دار بين علماء الكلام في الإلهيات والغيبيات –التي اقتصد الإسلام في الحديث عنها ، لعجز العقل البشري وهو نسبي الإدراك عن فقه حقائقها ومكوناتها ، بل ولعجز اللغة عن التعبير عن كنه هذه الحقائق وهو جدل تضخمت به كثير من كتب الفرق والمذاهب الكلامية ، تسرب إليها من المجادلات والمناظرات التي دارت بين علماء الكلام وبين أصحاب المذاهب والديانات غير الإسلامية – وخاصة مذاهب الفرس والهنود وفلاسفة الغنوصية والباطنية – ثم حدث أن انتقلت هذه المجادلات من ميدان الصراع الفكري الخارجي إلى ميدان الجدل بين المذاهب الإسلامية ، فوظفت في غير ميدانها وفرقت الصف الإسلامي وأورثته الكثير من ألوان التعصب المذهبي المقيت حتى ليشهد على هذه الحقيقة أحد أساطين هذا العلم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ -٥٠٥ هـ ١٠٥٨- ١١١١ م) فيقول : إنك قد تعرض المسألة على الأشعري فيوافقك عليها . فإذا قلت له إنها رأي المعتزلة عاد فرفضها بعد أن كان قد قبلها والعكس صحيح .

ولقد رأينا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ – ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ -١٩٠٥ م) عندما كتب كتابه " الصغير – النفيس " (رسالة التوحيد) كيف هذب فيه علم العقيدة الإسلامية عندما نقاها من " شغب المتكلمين القدماء " الذين افتعلت خلافاتهم المذهبية الكثير من المسائل الخلافية المتوهمة فلما جاء الإمام محمد عبده ونفى هذه العقائد من تعصب الفرق والمذاهب ، اكتشفنا المساحة الواسعة للأرض المشتركة بين جميع هذه المذاهب في العقائد والتصورات والمسائل التي ملأ الخلاف حولها كتب علم الكلام القديم .

ولذلك ، فإننا بحاجة إلى تهذيب تراثنا في علم الكلام ، تهذيباً يستخلص العقائد التي جاء بها الوحي الإلهي المعصوم في النصوص قطعية الدلالة والثبوت ، وتقديم هذا التراث إلى جمهور الأمة ، مع بقاء مخطوطات ذلك التراث وطبعاتها القديمة وقفاً على أهل الاختصاص من الباحثين والعلماء .

ولقد سبق لحجة الإسلام أبو حامد الغزالي أن مارس هذا التهذيب لعلم العقائد الإسلامية عندما كتب كتبه : " الاقتصاد في الاعتقاد " و" إلجام العوام عن علم الكلام "، و" المضنون به على غير أهله " . فميز بين ما هو ضروري للجمهور وبين ما هو وقف على أهل الاختصاص ، وكذلك صنع ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥ هـ ١١٢٦ -١١٩٨ م) مع التأويل للآيات المتشابهات .

٣ – وميدان ثالث من ميادين التراث الإسلامي الذي يحتاج إلى التهذيب هو تراثنا في التصوف . إن التصوف هو علم القلوب والسلوك وليس هنالك عالم من علماء الإسلام ترك بصمته على الثقافة الإسلامية إلا وقد جمع بين الفلسفة العقلانية وبين تقوى القلوب . فتقوى القلوب ترطّب الحسابات المجردة للعقول ، وحسابات العقول توقظ وتضبط خطرات القلوب، فتكون الثمرة هي ثقافة الوسطية الإسلامية الجامعة والمتوازنة

،البريئة من انشطارية التناقضات الحادة بين " العقل " و" النقل " تلك التي أثمرت ثمـــــــــــــــــــــــــــــــرات مـــــــــــــــــــــــــــــــرة ، مـــــــــــــــــــــــــــــــن مثل " الخبراء " الذين لا قلوب لهم ، و"الفقهاء " الذين لا عقول لهم .

لكن تراثنا في التصوف ، قد تسربت إلى كثير من كتبه ركامات من الخرافة والشعوذة والأساطير ، التي سبقت تحت عناوين " الخوارق " و " الكرامات " .

صحيح أن " الخوارق " و " الكرامات " هي من الحقائق المجمع عليها إسلامياً ، باعتبارها إكراماً إلهياً لمن صفت نفوسهم بالرياضات الروحية ، وتخففت أرواحهم من أثقال المادة وظلماتها الحاجبة للأرواح ، فنمت ملكاتهم الروحية بهذه الرياضات والمجاهدات الروحية ، كما تنمو القوى المادية للعضلات الجسمانية بالتمارين الرياضية ، حتى لتخرق حدود العادة والمألوف .

لكن إجماع أهل هذا الطريق قد انعقد – أيضاً – على الامتناع عن إثبات شيء من هذه الخوارق والكرامات في " الكتب الجمهورية " ، وعلى تحريم التحدث بهذه الكرامات أو طلب التصديق بها لدى الجمهور – كما هو الحال مع معجزات الأنبياء والمرسلين – .

لذلك ، كان امتلاء كتب التصوف بهذه الخوارق والكرامات هو ما يتنافى مع مناهج أهل هذا الطريق ، ولعل الذين أدخلوا ذلك في هذه الكتب هم الذين أرادوا التكسب من وراء " الطرق الصوفية " ممن ليست لهم قدم راسخة وعلاقة وثيقة بعلم القلوب والسلوك .

ولقد تحدث الإمام محمد عبده عن أن الكثير مما نسب إلى الإمام الشعراني (٨٩٨ – ٩٧٣هـ ، ١٤٩٣ – ١٥٦٥م) في كتابه " الطبقات " لا علاقة للشعراني به وإنما هو مدسوس عليه من الذين أرادوا التكسب به لدى عوام الناس .

كذلك ، فإننا بإزاء التصوف والتراث الصوفي أمام رافد غريب عن المنهاج الإسلامي في التصوف الشرعي ، هو رافد التصوف الباطني الوافد إلينا من التراث الغنوصي – اليوناني والهندي – وهو تراث غريب عن الوسطية الإسلامية التي جمعت بين "العقل " و " النقل "بين "الشريعة "و "الحقيقة " وبين "التجربة " و "الوجدان " ، وبين حقائق عالم الغيب وحقائق عالم الشهادة المبثوثة في الأنفس والآفاق .

لذلك كله كان تراثنا الصوفي –هو الآخر – في حاجة إلى تهذيب يقدم لجمهور الأمة والمثقفين معالم التصوف الشرعي ، لتتوازن ثقافة السالكين لهذا الطريق مع بقاء مخطوطات هذا التراث وطبعاته القديمة وقفاً على الباحثين والدارسين المتخصصين .

٤ – وهناك ميدان رابع بالغ الخطر في الحديث عن تهذيب التراث .. وهو ميدان التاريخ الحضاري للأمة الإسلامية .

إنني أحار كثيراً في الجواب عندما يسألني الشباب عن الكتاب المفضل الذي أزكيه وأرشحه كي يقرؤوا فيه تاريخ الإسلام والمسلمين .

لقد كتب المؤرخون القدماء التاريخ بمنهج "الإخباريين " ، أي الذين يجمعون الأخبار والروايات ويثبتون مع كل خبر " سنده " والرواة الذين رووه وتركوا مهمة الاجتهاد في الموازنة بين الأخبار والنقد للرواة من حيث العدالة والضبط لمن يأتي بعدهم ، ولم نقم نحن بهذه المهمة في تهذيب التاريخ حتى الآن .

ولعل تاريخ ما يسمى " بالفتنة الكبرى " خير شاهد على خطر هذه القضية وعلى ضرورة تهذيب كتب هذا التاريخ ذلك أن الذين يقرؤون المجلدات التي كتبت في تاريخ " الفتنة الكبرى " ، والحروب التي دارت بين الصحابة – رضي الله عنهم – تنطبع في أذهانهم صورة " انقلاب ، هؤلاء الصحابة على الإسلام ، وعلى المنهاج النبوي الذي تربوا عليه في مدرسة النبوة على يدي الرسول الله صلى الله عليه وسلم " وهذه الصورة السلبية بل السوداوية التي امتلأت بها مجلدات هذا التاريخ ، قد صنعتها أسباب عديدة ، في مقدمتها ما دسته "الشعوبية الفارسية"، في ذلك التاريخ ، تشويهاً لصورة الإسلام والعرب الذين أزالوا الكسروية الفارسية وما دسته "الشيعة" لتشويه صورة الصحابة الذين أخَّروا علي بن أبي طالب (٢٣ق.هـ-٤٠هـ ٦٠٠ – ٦٦١م)في تولي الخلافة عن أبي بكر الصديق (٥١ق. هـ ١٣هـ -٥٧٣-٦٧٤م) وعمر بن الخطاب (٤٠ق. هـ -٢٣هـ ٥٧٧-٦٥٦م) رضي الله عنهم أجمعين .

وفوق هذه " الصورة –المصنوعة) التي صنعتها " الشعوبية " و" الشيعة " هناك غيبة المنهج العلمي عن كتابة تاريخ هذه الفتنة ذلك المنهج الذي يقول لنا إن الصحابة لم يختلفوا في الدين عقيدته وشريعته ومنظومة قيمه وأخلاقه وهذا هو جوهر الدين وتلك هي ثوابته وأركانه ومبادؤه – وإنما نحصر خلافهم في السياسة التي هي من " الفروع والفقهيات " وليست من العقائد والمبادئ والأركان . كما تختلف الأحزاب السياسية المعاصرة مثلاً في " البرامج " مع اتفاقها جميعاً في " الوطنية " والانتماء والولاء للوطن والعناصر الجوهرية المكونة لهوية الأمة من مثل " الدين واللغة والتاريخ : ..

نعم .. كان اختلاف الصحابة في " السياسة " أي في الفروع والفقهيات ، أي في مواطن الاجتهاد ، التي معايير الاختلاف فيها " النفع والضرر " و"الصواب والخطأ " وليس " الكفر والإيمان " وهي ميادين المخطئ فيها مأجور على اجتهاده ، وذلك وفق القاعدة الإسلامية الذهبية : "من اجتهد فأصاب فله أجران ،ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد " .

ومن هذا المنطلق فإن جميع فرقاء الصحابة حتى الذين اقتتلوا منهم مجتهدون ومأجورون! واختلافهم هذا لا يقدح في عدالتهم كرواة في نقل الدين إلى جيل التابعين وبنصّ القرآن ، فإن الخلاف في غير العقيدة حتى وإن بلغ درجة الاقتتال لا يخرج أطرافه من إطار الإيمان : " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " [الحجرات ٩،١٠].

فالاختلاف وحتى الاقتتال في ط السياسة والفقهيات والفروع " لا يخرج أياً من فرقائه عن دائرة الإيمان وحتى البغاة الذين أبَوْا الصلح واستمروا في القتال حول السياسات غير خارجين من إطار الأمة الواحدة طالما آمنوا بعقائد الإسلام وثوابته وأركانه ، وطبقوا هذه العقائد والأركان .

لكن الخوارج ، الذين ابتدعوا " فتنة التكفير وخطيئته " هم الذين انتقلوا بالاختلاف السياسي من الفروع والفقهيات إلى العقائد والأركان ، فحكوا على خصومهم بالكفر والمروق من الدين وكذلك الشيعة ، الذين جعلوا الإمامة والخلافة – وهي السياسات والفرعيات والفقهيات – جعلوها أمهات العقائد فانزلقوا إلى تكفير الصحابة الذين أخروا ترتيب الإمام علي في سلسلة الراشدين .

لقد جمعت " فتنة التكفير " بين الخوارج وبين الشيعة ، على ما بينهما من تناقضات حادة وذلك وفق القاعدة السياسية التي تقول : " إن أقصى اليمين وأقصى اليسار إنما يقفان على أرض واحدة .. أرض الموقف الخاطئ .. أرض " الغلو " الذي يجمع ما بين هؤلاء الفرقاء المختلفين ! ".

ومما يشهد على أصالة المنهج العلمي في كتابة التاريخ الإسلامي ومنه تاريخ ما سمي " بالفتنة الكبرى " ذلك المنهج الذي يقول لنا إن الاختلاف في السياسات والفرعيات والفقهيات يجب أن لا يصنع تلك الصورة السلبية التي جاءت للصحابة في كتب تاريخ هذه الفتنة مما يشهد على أصالة هذا المنهج العلمي الذي يجب أن يحكم تهذيب هذا التراث التاريخي موقف الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – من فرقاء هذا الاختلاف .

ونحن اليوم لن نجد منهجاً لفرز هذه الأوراق التي اختلطت ولتحديد " طبيعة الاختلاف " الذي حدث بين الصحابة ، وأيضاً حجم هذا الاختلاف ، أفضل من ذلك المنهاج الذي حدده وصاغه الإمام علي وهو الذي كان طرفاً أصيلاً في هذا الاختلاف وما دار فيه من قتال ، فلقد سئل أثناء القتال بينه وبين معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – (٢٠ق.هـ -٦٠هـ ٦٥٣-٦٨٠م) في موقعة "صفين "(٣٧هـ ٦٥٧م) عن مكانة خصومه السياسيين من الإيمان بالإسلام وكان الخوارج ومن بعدهم الشيعة يكفرون هؤلاء الخصوم فقال الإمام علي كرم الله وجهه : " والله لقد التقينا وإلهنا واحد ، وقرآننا واحد ، ونبينا واحد ، وقبلتنا واحدة ، ولا نستزيدهم في الإيمان ولا يستزيدوننا وإنما الخلاف بيننا وبينهم في دم عثمان بن عفان ، ونحن منه براء إننا نقاتلهم على التأويل ، لنردهم إلى الجماعة [الرعية السياسية] ولا نقاتلهم على التنزيل ".

فلما سئل عن رأيه في قتلى الفريقين ؟ قال : "إني لأرجو لقتلانا وقتلاهم الجنة " .

لقد حدد طبيعة " الاختلاف " ، ومن " حجمه " وأيضاً بعده عن عقائد الدين ودخوله في منطقة " الاجتهاد في السياسات والفقهيات " .

ولقد برزت حقائق هذا المنهاج التي تؤكد على أن الاختلاف في السياسة ، حتى ولو بلغ حد القتال ، لا يخرج أطرافه من دائرة الإيمان بالإسلام برزت هذه الحقائق حتى عندما دار القتال في المسجد الحرام بين الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠-٩٥هـ ٦٦٠-٧١٤م) وبين عبد الله بن الزبير (١-٧٣ هـ ٦٢٢-٦٩٣م) . نعم .. لقد حدث الاقتتال في المسجد الحرام وعندما كان المؤذن يؤذن للصلاة ، كان الفرقاء المقتتلون جميعاً يضعون أسلحتهم ويصلون خلف إمام واحد !! ولم يحدث أن فريقاً قد حكم على الآخر بالكفر في الدين .

تلك هي حقائق المنهاج الذي يجب أن يحكم تهذيب تراثنا في التاريخ . وتاريخ " الفتنة الكبرى " على وجه الخصوص ، لتعود صورة الصحابة – الجيل الفريد الذي تربى في

مدرسة النبوة والذي صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم على عينه – ، والذي أقام الدين ، وأسس الدولة والحضارة ، وأزال القوى الاستعمارية العظمى –الفرس والروم – وغير مجرى التاريخ –لتعود الصورة الصحيحة لهذا الجيل الفريد في كتب التاريخ .. وذلك دون خجل أو إنكار لما وقع بينهم من اختلاف في السياسات والفقهيات والفروع .

وأيضاً ، لنزع ألغام التكفير التي تسربت إلى كتب التاريخ المذهبي ، تلك التي قسمت وحدة الأمة ، والتي بقيت "ألغاماً " و"ثغرات اختراق " ينفذ منها ويفجرها الغزاة عند الاقتضاء حتى هذه اللحظات !!

كذلك ، لابد –في تهذيب التاريخ – من إعادة التوازن إلى القوى التي صنعت هذا التاريخ .

لقد تميزت المسيرة الحضارية للأمة الإسلامية " بتعظيم الأمة وتحجيم الدولة " طوال القرون التي سبقت مجيء نموذج الدولة القومية الأوربية – مع محمد علي باشا (١١٨٤-١٢٦٥هـ ١٧٧٠-١٨٤٩م)في عصرنا الحديث " فالأمة " وليست " الدولة والسلطة " هي المستخلفة عن الله – سبحانه وتعالى – وهي التي أقامت الدين وأسست الدولة وفتحت الفتوحات وصنعت الحضارة . ولقد كانت "مؤسسة الوقف " هي المؤسسة التمويلية الأم والكبرى التي مولت صناعة الحضارة الإسلامية في جميع ميادينها – من نقطة الحليب للطفل الرضيع.. إلى الموسيقى التي تعزف للمرضى في المستشفيات إلى الحدائق التي يأكل منها الغرباء وأبناء السبيل إلى المساجد والمدارس والمكتبات العامة وحتى الأساطيل وتجهيز الثغور بالمجاهدين المرابطين في سبيل الله – كل ذلك قد مولته الأمة عن طريق الأوقاف التي بلغ حجمها في بلد كمصر في بعض العصور أكثر من نصف مساحة أرضها الزراعية بينما كان حجم "الدولة" في ذلك التاريخ محدداً جداً !.

لكن الآفة التي أصابت كتابة التاريخ في حضارتنا قد تمثلت في تسليط كل الأضواء على تاريخ "الدولة والسلطة والسلطان " ،بينما توارت "الأمة " من صفحات هذا التاريخ .. فجاء تاريخاً "لنصف الكوب الفارغ " الذي ساد فيه الاستبداد وغلبت عليه الانحرافات حتى لقد تحدث عنه الجاهلون فقالوا إن ٩٩% من هذا التاريخ كان ظلاماً وأنه لا يعدو أن يكون تاريخ "النطع والسياف "! ولم يفسروا لنا كيف قامت هذه الحضارة وازدهرت وأضاءت الدنيا في ظل " انحراف هذه الدولة وذلك الظلام ! "

لذلك ، فإن إعادة التوازن إلى هذا التاريخ ، تقتضى كتابة تاريخ " الأمة " وليس فقط " الدولة والسلطان " ، وهذه هي مهمة " تهذيب هذا التاريخ " ، بإضافة المصادر التي أرخت وتحدثت عن طبقات وأجيال العلماء والفقهاء والمفسرين والمحدثين والحكماء والفلاسفة والصوفية والأولياء والأطباء والأدباء والشعراء .. وحتى المغنين والموسيقيين وكذلك إضافة المصادر التي كتبت في (الخطط) التي أرخت للأمكنة والبلدان ومصادر الثروة ، وأنماط الإنتاج والتجارات والأسواق والخانات .. وحتى للأبنية والمعمار والآثار والأحجار ..

فبالتاريخ " للأمة " وبالتاريخ للواقع تكتمل صورة التاريخ الحضاري لأمة الإسلام .. وتتضح الأوزان الحقيقية لمكونات هذا التاريخ .. أما الوقوف ، بهذا التاريخ ، عند السلاطين

والولاة فقط فإنه الانحراف الذي يحتاج إلى التهذيب . وكذلك الحال مع مذاهب الأمة وتيارات الفكرية .

لقد رأينا في الآونة الأخيرة بعض الشباب الذين لا دربة لهم في العلم الصحيح ، ينسبون "الثورية"، و"المقاومة " و" الفداء والاستشهاد " إلى بعض المذاهب الهامشية ، ويحجبون كل ذلك – بزعمهم – عن أهل السنة والجماعة الذين يكونون ٩٠% من تعداد هذه الأمة . ولذلك، فإن تهذيب تراثنا التاريخي مطلوب منه أن يبرز الحقائق التي تقول :

- إن أهل السنة والجماعة هم الذين أقاموا الدين وأسسوا الدولة ، وفتحوا الفتوحات التي أزالت قوى الهيمنة –الرومانية والفارسية – التي قهرت الشرق عشرة قرون قبل ظهور الإسلام .
- وإن دول أهل السنة والجماعة – وجماهيرهم - هم الذين قهروا الحملات الصليبية ، التي دامت (٤٩٨-٦٩٠هـ ١٠٩٦-١٢٩١م) قرنين من الزمان أو التي جاءت لإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي والتي تسللت – يومئذ – من الثغرات التي سببتها الدولة الفاطمية الشيعية بعقائدها الباطنية الضالة ، وبغربتها عن جمهور الأمة .
- وأهل السنة والجماعة – أيضاً – هم الذين كسروا شوكة الغزوة التترية التي هددت وجود الأمة والإسلام .. بل وهم الذين أدخلوا التتار في الإسلام – على حين كانت هذه المذاهب الهامشية التي يظنّ بعض الجهلاء أنها هي الثورية والمقاومة – هي التي فتحت "بالخيانة" أبواب بغداد أمام " هولاكو " القديم في (١٢١٧ – ١٢٦٥م) كما فتحت أبوابها أمام هولاكو القرن الواحد والعشرين ..
- كذلك كان أهل السنة والجماعة هم الذين قادوا حركات التحرر الوطني ضد الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة على امتداد عالم الإسلام .. بينما سقطت "طوائف " في شباك الغواية الأجنبية والاستعمارية في كثير من منعطفات ذلك التاريخ .

وهكذا ، فإن "الوعي " بالتاريخ .. وليس فقط " قراءة " التاريخ ، هو الكفيل بتهذيب هذا التراث التاريخي ، على النحو الذي يعيد التوازن إلى المذاهب والتيارات الفكرية التي صنعت أمجاد هذا التاريخ ، الذي هو مكون أساسي من مكونات هوية هذه الأمة ، ومعلم من معالم الانتماء والولاء لحضارة الإسلام.

٥ – وميدان خامس من ميادين التراث الذي يحتاج إلى تهذيب .. هو ميدان الآداب والفنون .

لقد كان أبو نواس (١٤٠ -١٩٨هـ ٧٥٧ – ٨١٤م)واحداً من أكثر شعراء العربية رقة وعذوبة وجمالاً ، لكن .. هل هناك عاقل يرشح أشعار أبي نواس في الخمريات ، والغزل بالغلمان ، والجنس المكشوف ، والزندقة – ولقد تاب عنها قبل موته – لتدرس هذه الأشعار لبناتنا وأبنائنا المراهقين والمراهقات في المدارس والجامعات ؟! .. أو لتعمم قراءة هذه الأشعار في الإذاعات والفضائيات والصحف والمجلات ؟! أم أننا في حاجة إلى طبعة مهذبة من شعر أبي نواس لتدرس لبناتنا وأبنائنا ، ولتشيع بين الجمهور ،مع بقاء أعماله الشعرية الكاملة للدارسين وأهل الاختصاص ؟ .

أذكر – وأنا أؤدي امتحان " الليسانس " بكلية دار العلوم – أن سألتني طالبة عن أبيات شعرية في الغزل للشاعر الأندلسي يحيى الغزال (١٥٧-٢٥٠هـ ٧٧٤-٨٦٤م) وهو كان شاعراً في بلاط عبدالرحمن بن الحكم بن هشام (١٧٦-٢٣٨هـ ٧٩٢-٨٥٢م) وكان من أرق الشعراء الذين قرأت لهم في الحب والعشق والغزل ، وكانت الطالبة تلح عليَّ كي أملي عليها الأبيات التي قالها هذا الشاعر ، ونحن نهم بدخول الامتحان .. " ولقد أجبتها إلى طلبها ، وأنا في غاية الحرج والخجل أن أملي على فتاة أبياتاً هي قمة في الرقة كما هي قمة في الفسق والخنا والفجور وانعدام الحياء !

فإذا كنا لا نريد حرمان بناتنا وأبنائنا وجمهورنا من دراسة وحفظ التراث والاستمتاع به، فعلينا أن نعمل فيه الاختيار والتهذيب لطبعات يدرسها أبناؤنا ، ويشيع نشرها بين الجمهور مع بقاء كامل هذه الأشعار ، في طبعاتها السابقة ، وقفاً على المتخصصين من الباحثين والدارسين والنقاد .

ولقد سبق لإحدى المحاكم المصرية أن طلبت في حيثيات حكم قضائي أواخر القرن الماضي تهذيب طبعة من كتاب " ألف ليلة وليلة " تحذف منها نصوص الأدب المكشوف والفحش الجنسي ، لتدرس في مدارسنا . وأذكر – يومها – أن أشد الاعتراضات على هذا الحكم ، والرفض لتهذيب " ألف ليلة وليلة " بحجة الحفاظ على التراث قد جاء من " غلاة العلمانيين " الذين يريدون ، إهدار الشريعة والعبث بالسنة النبوية ، بينما يريدون الحفاظ على هذا الفحش الذي جاء في " ألف ليلة وليلة " بحجة "قدسية التراث " !!

إن كتاب (الأغاني)لأبي الفرج الأصفهاني (٣٢٦ هـ - ٩٦٧م) هو أعظم موسوعات التراث العربي في الآداب والفنون ، ولقد صدرت لهذه الموسوعة طبعة محققة بعنوان (تهذيب الأغاني) يسرت قراءتها بعد أن نقتها مما لا تصح إشاعته بين الجمهور .

****

وإذا كان الحديث قد دار – في هذه الدراسة – حول تهذيب " المضمون " للعديد من كتب التراث الإسلامي في مختلف علومه وفنونه –فإن هناك تهذيباً " للشكل " في كتب التراث، ييسر قراءتها ، ويعين على اتصال أفكارها لدى القراء .

ففي كتب السنة النبوية مثلاً وكذلك في مصادر التاريخ نجد أسماء الرواة للأحاديث والأخبار و" عنعنات " الروايات تستغرق أحياناً سطوراً قد تزيد في الحجم على سطور "الحديث" أو "الخبر " الأمر الذي يقطع تواصل الفكر لدى القارئ الباحث عن المعاني في هذه الأحاديث والأخبار .

لكن تهذيب هذا الشكل في كتب التراث يجب ألا يتم على حساب التوثيق للأحاديث والأخبار ، وإنما يجب أن يتم بإنزال أسماء الرواة و " عنعنات " الروايات إلى " هامش " الطبعات الجديدة لهذه الكتب – كما هي – مع وضعها بين الأقواس المميزة لها .. ليظل التوثيق العلمي للروايات حاضراً ، ولتحقيق التواصل في المعاني والأفكار للقارئين لمتن الكتاب .

وأذكر أنني عندما حققت " كتاب الأموال " لأبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٧-٢٢٤هـ ٧٧٤-٨٣٨م) وهو من أمهات كتب أحاديث الأموال والاقتصاد الإسلامي قد طبقت هذا المنهاج في تهذيب " شكل النص " . فأنزلت أسماء الرواة للأحاديث والأخبار إلى "الهامش " وجعلت سياقات المعاني والأفكار للأحاديث متصلة وميسورة أمام القراء .

بقى أن نقول : إن الحديث عن ضرورة تهذيب تراثنا الإسلامي قد كان حاضراً في مشاريع الإصلاح الكبرى لتعليمنا الديني عند أعلام مدرسة الإحياء والتجديد في عصرنا الحديث ، وها هو الشيخ الأكبر محمد مصطفى المراغي (١٢٩٨-١٣٦٤هـ ١٨٨١-١٩٤٥م) شيخ الجامع الأزهر الذي حقق حلم أستاذه الشيخ محمد عبده في إصلاح التعليم الأزهري – ينص – في المذكرة التي كتبها لإصلاح الأزهر سنة ١٩٢٨م على ضرورة تهذيب كتب التراث ،فيقول :

" يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ،وأن يفهما على وفق ما تتطلب اللغة العربية في فقهها وآدابها من المعاني ، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ، وأن نبتعد في تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه ، وعن كل مالا يتفق وقواعد اللغة العربية .

يجب أن تهذب العقائد والمعاملات وتنقى مما جدَّ فيها وابتدع ، وأن تهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق وقواعد الإسلام الصحيحة .

يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرة خالية من التعصب المذهبي . وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة ، والأحكام المجمع عليها ، والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء " .

لقد رسم الشيخ المراغي معالم المقاصد المبتغاة من وراء تعلم العلوم الإسلامية – الشرعية واللغوية – وأعلن أن التهذيب لكتب هذه العلوم هو السبيل لتحقيق هذه المقاصد والغايات .

وإن الذين يقرؤون ما كتبه أعلام العلماء الذين جددوا علومنا الإسلامية واللغوية في القرن العشرين من أمثال الشيخ محمد أبو زهرة (١٣١٦-١٣٩٤هـ ١٨٩٨-١٩٧٤م) والشيخ عبد الوهاب خلاف (١٣٧٥هـ ١٩٥٦م) والدكتور عبد الرزاق السنهوري (١٣١٣-١٣٩١هـ ١٨٩٥-١٩٧١ م) والشيخ أحمد إبراهيم (١٢٩١-١٣٦٤هـ ١٨٧٤-١٩٤٥م)والشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦-١٣٩٣هـ ١٨٧٩-١٩٧٣م) والشيخ محمود شلتوت (١٣١٠ -١٣٨٣هـ ١٨٩٣-١٩٦٣م)والشيخ محمد الخضري (١٢٨٩-١٣٤٥هـ ١٨٧٢-١٩٢٨م) والدكتور عباس حسن (١٣١٨ -١٣٩٨هـ ١٩٠٠-١٩٧٨م) والشيخ مصطفى الزرقا (١٣٢٢-١٤٢٠هـ ١٩٠٤ -١٩٩٩ م) وغيرهم وغيرهم من الذين استحضروا ثوابت العلم الإسلامي ، وجددوا في الأساليب والتطبيقات ، ليدرك أن تهذيب التراث الإسلامي هو معلم من معالم التجديد الذي يهيئ المناخ الفكري والثقافي لأجيال جديدة من العلماء المجددين ، الذين يقودون الأمة في الإقلاع من المأزق الحضاري الذي تردت فيه .

ويبقى على مجامع الفقه الإسلامي ، وجامعات العلوم الإسلامية ، ومجامع اللغة العربية، والجمعيات التاريخية ، وأقسام الدراسات الإسلامية والتاريخية في الجامعات العربية أن تتداعى لحوار علمي يحدد السبل لإنجاز هذه المهمة الكبرى .. مهمة التهذيب لتراث الفكر الإسلامي ، وتاريخ الإسلام والمسلمين لنفتح أبواب التواصل بين أجيالنا المعاصرة وبين كنوز هذا التراث.

* الدكتور عمارة غني عن التعريف فهو معروف بجهوده وجهاده في سبيل الدعوة والفكر والبحث والتأليف والتدريس الجامعي .

منزلة العلم والعلماء عند المسلمين

د. عبد اللطيف بن جاسم كانو *

منزلة العلم والعلماء في القرآن :

الدين الإسلامي الحنيف بين فضل العلم ومنزلة العلماء ، وقد حث القرآن الكريم على العلم والتبصر والتعلم والتعليم ، وشجع عليه ودعا إليه ، وقد كرم الله العلماء ورفع مكانتهم ودرجاتهم ومنزلتهم بين الناس ، وجعل صلاح الأمة الإسلامية بصلاح قادتها وعلمائها ، وقد رفع الله مكانة العلماء إلى أعلى رتبة من رتب الإيمان فقربهم من جلاله ووحدانيته وشهد بمكانتهم في قوله تعالى في سورة آل عمران (١٨) : { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم } . فهذه الآية الكريم شهدت بأنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولوا العلم ، وهذه بطبيعة الحال أعلى المنازل التي رفع الله إليها الإنسان العالم .

وقد تحدث القرآن الكريم في آيات عديدة محكمات عن العلم والعلماء ، وقد وردت كلمة (العلم) في القرآن الكريم في ٨٠ موضعاً من الآيات القرآنية الكريمة ، كمل اشتمل القرآن الكريم على أكثر من ٦٠٠ آية احتوت على كلمات مشتقة من كلمات العلم والعلماء، وإن أبلغ معنى لكلمة العلم ارتباطها بالذات الإلهية ، حيث اقترن في القرآن الكريم اسم الجلالة بالعليم الحكيم ، فارتبط العلم بالحكمة التي إن أوتيت لأي إنسان فإنه قد أوتي الخير الكثير في قوله تعالى في سورة البقرة (٢٦٩) : { يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً } .

والعلم لا يولد به الإنسان وإنما يكتسبه من خلال الدراسة والتعليم والتعلم والمخالطة ، ومن هذا المنطلق فالكل سواسية في بداية المطاف يبدأون من صفحة بيضاء عند ولادتهم ولا يعلمون شيئاً ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه البداية فقال في كتابه العزيز المكنون في سورة النحل (٧٨) : { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً } ، ثم يبدأ بعد ذلك العلم والتعلم ، والتحصيل والاجتهاد ، وهنا يعلم الله الإنسان بالقلم ما لا يعلم حيث قال عز من قائل في سورة العلق (٣) : { اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم } ، كما قال جل جلاله في آية أخرى يخاطب فيها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى في سورة النساء (١١٣) : { وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً }، ويستمر التعليم إلى أن يصل إلى أقصى وأعلى درجات العلم في قوله تعالى في سورة النجم(٣٠):{ ذلك مبلغهم من العلم ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى } ، ثم تتغير ملكة العلم في الإنسان فيمر في المرحلة الأخيرة من حياته وهي أرذل العمر فهو في هذه السن لا يعلم بعد علم شيئاً ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المرحلة في قوله تعالى في سورة النحل (٧٠) : { ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً} .

ولتبيان مكانة العلم في الإسلام فإن الله عز وجل قد بدأ القرآن الكريم بكلمة (اقرأ)، وهذه الكلمة من كلمات العلم والتعليم ، فالقراءة هي مرتبة متطورة من أدوات العلماء في الدراسة والتحصيل ، كما أن الله عز وجل قد أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعو ربه ليكون له عوناً في الحفظ والترتيل لآيات القرآن الكريم وأن يزيده ربه علماً على علمه ،

فكان دعاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، هو ما جاء في سورة طه (١١٤) : { وقل رب زدني علماً } ، كما كان عليه الصلاة والسلام يدعو كذلك بدعاء يقول فيه : " اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علماً ، والحمد لله على كل حال " أخرجه البخاري .

إن القرآن الكريم هو آيات بينات في صدور أهل العلم فقد قال عز من قائل في هذا المعنى في سورة العنكبوت (٤٩) : { بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم } ، كما أن العلماء الراسخون في العلم هم المؤمنون بالقرآن لأنهم يعلمون أنه الحق من عند الله ، وقد ذكر القرآن هذا الحوار في آيتين كريمتين إحداهما في سورة آل عمران (٧) : { والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا } ، والآية الأخرى هي ما جاء في قوله تعالى في سورة سبأ (٦) : { ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق } .

كما أن هناك آيات قرآنية أخرى ارتبطت بالعلماء منها قوله جل جلاله في سورة المجادلة(١١) : { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات } ، وقوله عز من قائل في سورة فاطر (٢٨) : { إنما يخشى الله من عباده العلماء } . ومن الآيات القرآنية الكريمة الدالة الواضحة المعنى والأهداف قوله جل وعلا في سورة الزمر (٩) : { قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون } .

إن الإنسان مهما بلغ من الكمال في العلم فهو باستمرار يجهل الكثير ، فعلم الله واسع وما يصل إليه الإنسان في جميع مجالات العلم ما هو إلا الشيء اليسير المحدود ، وقد تحدث القرآن عن هذه الناحية فقال عز من قائل في سورة الإسراء (٨٥) : { وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً } ، كما قال تعالى في كتابه المكنون في سورة البقرة (٢٥٥) : { ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بماء شاء } ، وقوله تعالى في سورة يوسف (٦٧) : { نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم }.

منزلة العلم والعلماء عند رسول الله :

رسول الله ورسول الإنسانية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، كان أمياً ، لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ولكنه كان أستاذاً بليغاً للإنسانية ، ومربياً حكيماً وسيداً للفقهاء والعلماء والدارسين ، وقد كان عليه الصلاة والسلام رؤوفاً رحيماً بالعلماء والمتعلمين والدارسين ، رفع مكانة العلم والعلماء ، وحث على الدراسة والتحصيل والتعليم والتعلم ، وكرم العلماء والفقهاء وجالسهم وخاطبهم باللين والحكمة والتفهم ، ووصفهم بأنهم ورثة الأنبياء ، وخيار الأمة ، وأهل الخير ، وعماد الدين .

ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على العلم والتعلم ، وشجع المسلمين على الدراسة والتحصيل ، وأوصى المتعلمين بتعليم ما تعلموه ، وتوضيح ما درسوه ، وتحفيظ ما حفظوه ، وأخبرهم بأن العلم أمانة في أعناقهم وهم مطالبون بأن يعلموا ما تعلموه ، كما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بأن العلم النافع مردوده عند الله عظيم وأن أجر العالم بمقدار ما ينتفع بعلمه ، جزاؤه الجنة ، وأن كاتم العلم يلجم بلجام من نار يوم القيامة وأن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه .

لقد كانت غزوة بدر هي الانطلاقة التعليمية الأولى في الإسلام ، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم فداء أسرى قريش ممن يعرفون القراءة والكتابة تعليم عشرة من أبناء المسلمين، وذكر ابن سعد بن عامر الشعبي قال " أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيراً ، وكان يفادي بهم على قدر أموالهم ، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من المدينة فعلمهم ، فإذا حذقوا فهم فداؤه " .

وهكذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مهتماً بتعليم أبناء المسلمين على الكتابة والدرس ولم يمانع في أن يكون الأستاذ غير مسلم وقد كان من نتاج هذا التعليم أن الصحابي الجليل زيد بن ثابت كاتب الوحي ، ومرافق النبي ومتعلم اللغات ، وجامع القرآن الكريم في مراحله الثلاث كان أحد الغلمان الذين تعلموا على يد أسرى قريش .

لقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر) رواه ابن عبدالبر ، والواقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع بين العلم والحلم فقال عليه الصلاة والسلام : (ما جمع شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم) رواه الطبراني .

ولقد فضل النبي صلى الله عليه وسلم العلم على كثير من الأمور الدينية والدنيوية فقال عليه السلام : { عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد) رواه الديلمي . كما قال عليه الصلاة والسلام : { فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) رواه أبو نعيم ، ومن أحاديثه صلى الله عليه وسلم قوله : (الغدو والرواح في تعلم العلم أفضل عند الله من الجهاد في سبيل الله) رواه الديلمي ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (العلم أفضل من العبادة وملاك الدنيا والورع) .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي ارتبطت بالعلم والتحصيل خارج البلاد قوله صلى الله عليه وسلم : (من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع) رواه الترمذي ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) رواه الترمذي ، أما بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة التي بينت مكانة العلماء فمنها قوله صلى الله عليه وسلم : (جالسوا الكبراء ، وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء) رواه الطبراني ، كما قال عليه الصلاة والسلام في إكرام العلماء : (أكرموا العلماء ، فإنهم ورثة الأنبياء ، من أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله) رواه الخطيب .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة ذات العلاقة بالعلم والعلماء قوله صلى الله عليه وسلم في أمثلة من العلماء ، ومنهم عالم يريد وجه الله وعالم يريد الدنيا ، (العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هيأ له كل شيء ، وإذا أراد أن يكثر من الكنوز هاب من كل شيء) رواه الديلمي ، وقوله عليه الصلاة والسلام في مفتاح العلم : (العلم خزائن ، مفتاحها السؤال ، فاسألوا يرحمكم الله ، فإنه يؤجر فيه أربعة ، السائل ، والمعلم ، والمستمع ، والمحب لهم) ، ومن أقواله صلى الله عليه وسلم : (لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه علم فقد جهل).

* الدكتور عبداللطيف يحمل دكتوراه في الهندسة المعمارية ، عمل في مجالات عديدة وفي بلدان مختلفة . عُين وكيلاً لوزارة الأشغال ثم عضواً بمجلس الشورى بالبحرين . أسس بيت القرآن بالمنامة وأشرف على بنيانه وهو الأمين العام للبيت . أصدر عدداً من الكتب ويكتب في صحف بحرينية .

أدب

أسطورة تموز وعشتار في شعر بدر شاكر السيّاب

دراسة : د. محمد عبد الرحمن يونس*

كانت رحلة السياب مع المرض في مرحلة حياته الأخيرة رحلة مضنية ، وقد أثرت هذه المرحلة في حالته النفسية والاجتماعية ، بالتالي أثرت في رؤيته الشعرية إذ جعلتها رؤية قلقة ومتشائمة ومضطربة . لقد حرمته هذه المرحلة (من كل شيء حتى القدرة على المشي ، فأصبح الشعر رفيقه الوحيد . كان يتحدث مع الزوار ويصارع الجن أو يكتب شعراً (...) لقد أقعد المرض بدراً عن المشي ، و أقعده عن المضي في متابعة تجربته الشعرية . إنه توقف قبل أن يستنفد) [١] .

وفي هذه المرحلة كان السياب يتقدم سريعاً نحو الموت ، فاقداً الكثير من آماله ، في الحياة والأهل والخلان ، وحتى في الزوجة التي أعطته الكثير ، إذ تأزمت حالته النفسية والصحية أثناء وجوده في لندن للعلاج ، فأخذ (يكتب لزوجته باستمرار . وكانت هي قد بدأت تفقد الصبر على غيابه في شباط ١٩٦٣ ، فكتبت إليه تلح عليه بوجوب عودته حالاً إلى العراق . لكن بدراً انزعج من موقفها (...) ، وفي ٩ آذار ١٩٦٣ كتب قصيدة أخرى [٢] (...) يحمل فيها على زوجته ويعلن أن جميع من لاقاهم قساة ،فلا زوج ولا ولد ولا خلّ ولا أخ أفاده في إزالة الهم) [٣] ، وفي قصيدة بعنوان القن والمجمرة يتهم زوجته بأنها هي المسؤولة عن تهدم أعصابه ، وضعفه ومرضه ، وغربته ، ويتمنى لو أنها كانت تترقبه بوفاء و حزن ، كما بنلوب زوجة أودسيوس في الأساطير اليونانية) [٤] . يقول في القصيدة :

" ولولا زوجتي و مزاجها الفوار لم تنهد أعصابي
ولم ترتد مثل الخيط رجلي دونما قوة ،
ولم يرتج ظهري فهو يسحبني إلى هوة ،
ولا فارقت أحبابي ،
ولا خلفت أودسيوس يضرب في دجى الغاب
وتقذفه البحار إلى سواها دونما مرسى .
(...)
فآه لو كبنلوب الحزينة زوجتي تترقب الأنسام
لعل جناح طيارة
كمحراث من الفولاذ ، شقق بينها الأثلام
ليزرع ، ثم ، أزهاره

---

(١) ناجي علوش ، من مقدمة بعنوان " بدر شاكب السيّاب " ، في : ديوان بدر شاكر السيّاب ، المجلد الأول ، دارا لعودة ، بيروت ، طبعة ١٩٨٩م ، صـ : ث ث.

(٢) قصيدة بعنوان أم كلثوم والذكرى ، في مجموعة : " شناشيل ابنة الجلبي " ، المصدر السابق ، صـ ٦٦٤ – ٦٦٥ .

(٣) د. عيسى بلاطة ، بدر شاكب السيّاب ، حياته وشعره ، دار النهار للنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١م ، صـ ١٤٨ .

(٤) لمزيد من التوضيح : يراجع د. عبدالحميد يونس ، معجم الفلكلور ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م ، صـ ٩٤ . مادة PENLOPE .

ألا تباً لحب هذه الآلام من عقباه ! "[٥] .

وهذه المرحلة المتأزمة ، ومواقفه الأخرى في الحياة والسياسة والفقر ، ستؤزم علاقته مع النص الشعري ، ومع الرمز الأسطوري (تموز و عشتار) تحديداً ، وبدر شاكر السيّاب من أهم الشعراء العرب الذين وظفوا هذه الأسطورة ، و هو أكثرهم استخداماً لها ، وهو عندما يستخدمها ، فإنه يضفي عليها آلامه ومعاناته ، وصراعه مع العبودية والظلم والأحلام الملغاة في وطنه ، وغربته المتواصلة على أسرة المستشفيات التي قضى وقتاً طويلاً عليها.

ومع تفاقم مأساته الشخصية ، صحياً واجتماعية ، سنقرأ في شعره حساً عميقاً بالفاجع تجاه الحياة والزمن ، ومآسي الفقر و الجدب ، يقول في قصيدة بعنوان (مدينة السندباد)، من ديوان (أنشودة المطر) :

" جوعان في القبر بلا غذاء
عريان في الثلج بلا رداء
صرخت في الشتاء :
أقض يامطر
مضاجع العظام والثلوج والهباء ،
مضاجع الحجر ،
وأنبت البذور ، ولتفتح الزهر ،
وأحرق البيادر العقيم بالبروق
وفجر العروق
وأثقل الشجر . "[٦].

وحتى يمكننا أن نتتبع هذا الحس بالفاجع في قصائد السياب ، ونتابع أسطورة (أدونيس وعشتار) أو تموز وعشتروت ، في بعض أعماله الشعرية نعتمد المخطط الذي اعتمده نور ثروب فراي ، في تصوره لمراحل تطور الأساطير ، لما لهذا المخطط من أهمية واضحة في فهم التباينات التي تبرز من خلال استخدام السياب أسطورة (أدونيس وعشتار) ، و وفقاً لحالة السياب النفسية والسياسية والصحية المبدلة من حالة إلى أخرى ، و بالتالي من قصيدة إلى أخرى . وهذه المراحل هي :

-مرحلة الفجر والربيع والميلاد ، وتدور حولها أساطير ميلاد البطل ، الإحياء والبعث، الخلق وانهزام قوى الظلام والشتاء والموت[٧] .

وتظهر هذه المرحلة في شعر السياب في حالات الفرح والتفاؤل بالمستقبل ، و اندحار قوى سياسية يراها السياب ظالمة غاشمة ، فالسياب كان يكره عبد الكريم قاسم ، وبعد

(٥) من مجموعة شناشيل ابنة الجلبي ، المجلد الأول ، صـ ٦٨٧ – ٦٨٨ .
(٦) المجلد الأول ، صـ ٤٦٣ .
(٧) هيرمان نورثروب فراي ، في الأدب والنقد (الأدب والأسطورة) ، ترجمة د. عبدالحميد إبراهيم شيحة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، يناير ١٩٨٩م ، صـ ٣٣ .

الانقلاب الذي جرى في العراق في ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣ و قضى على حكم قاسم ، وجاء بعبد السلام عارف إلى الحكم [٨]، تفاءل السياب بالحكم الجديد ، ورآه بمثابة الدواء لجسده، فكتب قصيدة بعنوان "قصيدة إلى العراق الثائر " ، في مستشفى سان ماري بلندن ٨-٢-١٩٦٣ ، يصب فيها حساسياته السياسية تجاه الحكم البائد ، ويجسد فيها جميع آماله في انبعاث حضاري جديد ، عبر خطاب إيديولوجي يمجد فيه الجيش الثائر على عبد الكريم قاسم ويراه جيشاً للثورة العربية . يقول في القصيدة :

"عملاء "قاسم " يطلقون النار ، آه ، على الربيع
سيذوب ما جمعوه من مال حرام كالجليد
ليعود ماء منه تطفح كل ساقية ، يعيد
ألق الحياة إلى الغصون اليابسات فتستعيد
...
هرع الطبيب إلى – آه ، لعله عرف الدواء
للداء في جسدي فجاء ؟ -
هرع الطبيب إليّ وهو يقول : "ماذا في العراق ؟
الجيش ثار ومات "قاسم " .." –أي بشرى بالشفاء !
ولكدت من فرحي أقوم ، أسير ، أعدو دون داء
مرحى له .. أي انطلاق !؟
مرحى لجيش الأمة العربية انتزع الوثاق !
يا إخوتي بالله ، بالدم ، بالعروبة ، بالرجاء ،
هبوا فقد صرع الطغاة وبدد الليل الضياء !
فلتحرسوها ثورة عربية صعق "الرفاق "
منها وخر الظالمون ،
لأن "تموز " استفاق
من بعد ما سرق العميل سناه ، فانبعث العراق "[٩] .

ويُلاحظ في القصيدة انبعاث الرمز الأسطوري "تموز " ليشير إلى انبعاث مرحلة جديدة مشرقة في تاريخ العراق ، كما يرى السياب . وانبعاث هذا الرمز مرتبط بمرحلة قادمة يراها السياب ربيعاً و ميلاداً للعراق الناهض الجديد .

وفي قصيدة أخرى يحلم السياب بانبعاث البطل الأسطوري ، وبعودة عشتار إلى الأرض ، ليعود الربيع إليها ، ويرتد به هذا الحلم إلى حالات جمالية خاصة عاشها في حياته ، إذ يحلم بإشراق الفرح والربيع بعودة "وفيقة " من قبرها ، وتصبح وفيقة في المستوى الرمزي قضية كبرى تهم الوطن كله – العراق –وبعودة "وفيقة " ، كأنما عشتار عادت لتملأ

(٨) د. عيسى بلاطة ، م س ، صـ ١٤٤ .
(٩) ديوان منزل الأقنان ، المجلد الأول ، صـ ٣١٠ – ٣١١ .

الحياة ربيعاً، ولترجع أدونيس من عالم الموت السفلي[١٠] . يقول في قصيدة بعنوان : " ليلة في باريس " ، من ديوان "شناشيل ابنة الجلبي " :

"لو صح وعدك ياصديقة ،
لو صح وعدك . آه لانبعثت وفيقة
من قبرها ، ولعاد عمري في السنين إلى الوراء .
تأتين أنت إلى العراق ؟
أمد من قلبي طريقه
فأمشي عليه . كأنما هبطت عليه من السماء
عشتار فانفجر الربيع لها وبرعمت الغصون :
توت ودفلي و النخيل بطلعه عبق الهواء ،
و هو الأصيل وتلك دجلة
والنواتي الخفاف يرددون :
" ياليتني نجم الصباح " .. " [١١].

وفي المراحل الأخرى من حياة السياب ،لن يتحقق هذا الحلم ، فوفيقة ، جيكور الحلم، الأرض والوطن والأم والأخت والحبيبة ، قضية السياب المتأزمة ، ستبقى مجرد حلم ، فلن تعود وفيقة من قبرها ، وعشتار هي الأخرى لن تخصب أنوثة الأرض ، ولن تهبط إلى عالم الجحيم لإنقاذ أدونيس من أغلال " برسيفوني " إلهة الجحيم[١٢] . وستنسحب وفيقة من حياة السياب ، وينسحب الضياء ، ويتجسد ذلك في نهاية القصيدة :

"وذهبت فانسحب الضياء ،
لم يبق منك سوى عبير
يبكي و غير صدى الوداع : " إلى اللقاء !"
وتركت لي شفقاً من الزهرات جمعها إناء ." [١٣] .

وإذ ينسحب الضياء ، فإن انسحابه يتعلق بحالة ذاتية خاصة ناتجة عن إحساس السياب بدنو فاجع الموت منه . و " نادراً ما كان الشعر شفافاً كما شعر السياب . القصائد تكشف وتنحني وتخبر قصة واحدة ، هي قصة الشاعر . وحين نتآلف مع هذا الاكتشاف نفاجأ بأننا نقرأ التاريخ السياسي لمرحلة كاملة "[١٤] .

ومن بعض مظاهر التوظيف الأسطوري التي تشير إلى مرحلة ميلاد البطل الأسطوري وإحيائه ، أي مرحلة الفجر والربيع في أعمال السياب قصيدة أنشودة المطر ، غير أن توظيف الرمز الأسطوري " تموز " و عشتار يظل توظيفاً غير مباشر .

---

(١٠) لمزيد من الإيضاح يراجع : د. عبدالمعطي شعراوي ، أساطير إغريقية (أساطير البشر) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، ص: ١٦٨ ، ١٧٠ ـ ١٧١ .

(١١) المجلد الأول ، صـ ٦٢٢ – ٦٢٣ .

(١٢) تأخذ (بريسيفوني) اسماً آخر في نصوص أسطورية أخرى ، فتصبح إلها ذكراً باسم (بلوتو) . لمزيد من الإيضاح يراجع : دريني خشبة ، أساطير الحب والجمال عند اليونان ، المجلد الأول ، دار التنوير ، بيروت ، طبعة ١٩٨٣م ، صـ، ١٥٢ .

(١٣) ديوان بدر شاكر السياب ، المجلد الأول ، صـ ٦٢٤ .

(١٤) الياس خوري ، دراسات في نقد الشعر ، دار ابن رشد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، كانون الثاني ، ١٩٧٩م ، صـ ٢٧ .

يبتدئ الشاعر السياب قصيدته مخاطباً امرأة أسطورية العينين ، هذا من مستوى ، ومن مستوى ثان تصبح هذه المرأة الأسطورية مشيرة إلى وطن الشاعر – العراق - . إذْ يتجسد في عيني هذه المرأة شفافية النخيل وجماله ، و عطاء الكروم وخصبها . يقول الشاعر:

"عيناك غابتا نخيل ساعة السحر ،
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر .
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء .. كالأقمار في نهر
يرجّه المجذاف وَهْنَاً ساعة السَّحر
كأنما تنبض في غوريهما ، النجوم ... """[١٥].

ويمكن القول إن هذه المرأة هي الإلهة عشتار ، إلهة الخصب ، إذ تبدو المقطوعة السابقة مناجاةً أو وقفة إجلالٍ أو ابتهالاً أمام إلهة وثنية يشع الخصب و العطاء والجمال من عينيها ، و هي "الفصول في تحولاتها ، و هي الحياة و الموت و هي العناصر المختلفة : نجوم ، عصافير ، شجر . إنها حركتها المتجددة الدائمة "[١٦] ، وتحولات هذه المرأة الأسطورية وفق دورة الزمان : " الشتاء ، الخريف ، الميلاد ، الظلام ، الضياء ." ، هي التحولات التي ترتبط بعشتار و " تموز " ، حينما يغيب في العالم السفلي لمدة أربعة أشهر ، وحين يظهر مع " عشتار " في العالم العلوي لأربعة أشهر أخرى [١٧]، أي حين تتبدل الطبيعة وفق تبدل الفصول ، فعينا المرأة يجمعان الثنائيات الضدية من أسى وفرح ، وموت وميلاد ، وظلام وضياء ، وهي الثنائيات التي ترتبط بانبعاث البطل " تموز " و غيابه ، و بحالات عشتار و فرحها بلقائه ، وحزنها لغيابه . يقول الشاعر :

"وتغرقان في ضباب من أسى شفيف
كالبحر سرح اليدين فوقه المساء ،
دفء الشتاء فيه و ارتعاشة الخريف ،
والموت ، والميلاد ، و الظلام ، والضياء ،
فتستفيق ملء روحي ، رعشة البكاء
ونشوة وحشية تعانق السماء
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر ! " [١٨].

وإذ يتوجه الشاعر في مفتتح قصيدته إلى المرأة الأسطورية توجها ابتهالياً على شكل طقس احتفالي ، فإن ذلك يحيل إلى المراسيم و الاحتفالات التي كانت تقام قديماً أمام هياكل

(١٥) ديوان أنشودة المطر ، المجلد الأول ، صـ ٤٧٤ .
(١٦) الياس خوري ، م س ـ صـ ٣٤ .
(١٧) ب . كوملان ، الأساطير الإغريقية والرومانية ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، سلسلة الألف كتاب (الثاني) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، صـ ٥٦ .
(١٨) ديوان أنشودة المطر ، م١ ، صـ ٤٧٤ – ٤٧٥ ؟

الإلهة عشتار تعظيماً ودعاء لها ، و إجلالاً لطلعتها البهية[١٩] . وتتوحد عشتار في الرؤية الشعرية مع الطبيعة التي تعزف سمفونية المطر و الخصب ، وتبدو لفظة " المطر " المتكررة ، وكأنها تشير إلى ابتهال طقوسي إلى الربة عشتار و الطبيعة ليعم المطر ، وتشبع أرض العراق، أرض البوار و الجياع والعراة و العبيد وفق رؤية السياب الشعرية التي تتباين مع النظام السياسي القائم آنذاك ، وتدينه في آن . يقول الشاعر :

" وكل عام –حين يعشب الثرى – نجوع
ما مر عام و العراق ليس فيه جوع .
مطر ..
مطر..
مطر..
في كل قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزهر .
وكل دمعة من الجياع و العراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد " [٢٠].

إن استدرار المطر ، والإلحاح عليه في النص الشعري ، و التوسل إلى الطبيعة أو الإلهة عشتار لتنزل المطر أو تبعث الإله "تموز " أو "أدونيس " ، مكللاً بالربيع و الخصب ، يرتبط برؤية إيديولوجية خاصة عند السياب ، تدين نظاماً سياسياً ما ، وتبشر بنظام آخر ، يتحقق بمجيئه الخصب والعدل ، وتلغى العبودية فيه ، تأسيساً لغد مشرق.

لقد أعانت صور المطر المتعددة السياب " على بلورة ما أراد أن يقوله فنياً أو على بلورة ما أرادته مختلف الجماعات العراقية المتلهفة للمطر ، لإزالة نوع الجفاف الذي تعانيه ، فالأنشودة أي أنشودة المطر ، هي أنشودة هذه الجماعات و أنشودة السياب في الوقت نفسه " [٢١].

ـ أما المرحلة الثانية من مراحل تطور الأساطير عند نور ثروب فراي فهي مرحلة الصيف والزواج أو الانتصار[٢٢] ، وهذه المرحلة تبقى مجرد حلم وهواجس مكبوتة في شعر السياب ، ويغيب فيها ذكر الرمزين الأسطوريين " أدونيس و عشتار " ، ليتحول السياب من التركيز على مرحلة الخصب الأسطورية – من خلال طبيعة علاقة عشتار الأسطورية الأنثوية بحبيبها " تموز " أو " أدونيس " –إلى التركيز على همومه الشخصية و الإنسانية في علاقته مع المرأة الواقعية سواء أكانت زوجة أم حبيبة ، أم عشيقة ، و فشله في التواصل جسدياً معها ، ويبدو أن السياب في هذه المرحلة الحرجة من حياته لم يستهوه تحقق فعل

(١٩) للاطلاع على بعض الابتهالات والمراسيم التي كانت تقام أمام هيكل الإلهة عشتار يراجع : جبرا إبراهيم جبران ينابيع الرؤيا (دراسات نقدية) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م ، صـ : ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٢٠) ديوان أنشودة المطر ، صـ ٤٧٩ .
(٢١) د. هاشم ياغي ،ـ الشعر الحديث بين النظر والتطبيق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م ـ صـ ٣٩ .
(٢٢) هيرمان نورثروب فراي ، في النقد والأدب (الأدب والأسطورة) ـ صـ ٣٣ .

الإخصاب أو الانتصار أو الزواج الأسطوري من خلال لقاء الرمزين الأسطوريين تموز و عشتار ؛ لأن مراحل حياة السياب نفسها مراحل يائسة يغيب فيها فعل الانتصار الشخصي في تحقيق ما يصبو إليه من حب حسي جسدي ، حتى الزواج الناجح يكاد يكون غائباً من حياة السياب ، لقد فشل في علاقته النسائية ، و كان يعاني حرماناً جنسياً عنيفاً ، إذ كان " يجري وراء السراب ، بحثاً عن الماء عطشاً إلى الماء الحقيقي الواقعي . كان عطشاً إلى المرأة المحسوسة الملموسة . والجنس يباع في سوق المتاع بعيداً عن الحب والعاطفة . وكان مستعداً أن يغرف من هذا المعين الذي لا معين غيره . " [٢٣]. ولذا فالمرحلة تتحقق فيها أفعال الخصيب والانتصار ، وتحقق الحلم الأسطوري بالزواج ، تتباين تماماً مع حياة السياب الواقعية ، وهي غائبة على مستوى الأسطورة من شعره، وإن غابت المرحلة هذه من شعره أسطورياً ، فإنها على مستوى الحلم و الواقع الشخصي كانت حاضرة ومؤرقة له ، لقد كان هاجسه عنيفاً بتحقيق فعل الحب والجنس ، حتى و هو على فراش المرض في سنواته الأخيرة ، فمن لندن يكتب قصيدة يعبر فيها عن أعماق دوافعه المكبوتة ، و هواجسه الجنسية المندفعة ، بعنوان " وغداً سألقاها " من ديوان : " شناشيل ابنة الجلبي ":

"وغداً سألقاها ،
سأشدها شداً فتهمس بي
"رحماك " ثم تقول عيناها :
"مزق نهودي ، ضم – أواها –
ردفي ... واطو برعشة اللهب
ظهري ، كأن جزيرة العرب تسري عليه بطيب رياها " .
ويموج تحت يدي ويرجف
بين التمنع والرضا ردف
(...)
ويهيم ثغري و هو منخطف ،
أعمى تلمس دربه ، يقف
ويجس : نهداها
يتراعشان ، جوانب الظهر
تصطك ، سوف تبل بالقطر
سأذوب فيها حين القاها ! " [٢٤].

لندن ٢٧ -٢-١٩٦٣.

ويرتد به هذا الهاجس إلى أيام الصبا و الشباب متحسراً ؛ لأنه لم يستطع تحقيقه مع إحدى النساء في ليلة صيف مقمرة ، يقول في قصيدة بعنوان " كيف لم أحببك " من ديوان : شناشيل ابنة الجلبي ":

"كيف ضيعتك في زحمة أيامي الطويلة ؟

(٢٣) ناجي علوش ، بدر شاكر السيّاب ، مقدمة ديوان بدر شاكر السيّاب ، المجلد الثاني ، صـ ٤٢ .
(٢٤) المجلد الأول ، صـ ٦٤٧ .

لم أحل الثوب عن نهديك في ليلة صيف مقمرة ؟!
-يا عبير التوت من طوقيهما .. مرغت وجهي في خميلة
من شذى العذراء في نهديك –
ضيعتك ، آه ياجميلة !
إنه ذنبي الذي لن أغفره !
...
شعرك الأشقر شع اليوم شمساً في جناني
يتراءى تحتها ساقاك ، ياللزنبق
رفَّ من ساقيك ؟!
آه كيف ضيعتك يا سرحة خوخ مزهره ؟
آه لو عندي بساط الريح !!
لو عندي الحصان الطائر !!
آه لو رجلاي كالأمس تطيقان المسيرا !
لطويت الأرض بحثاً عنك ." (٢٥) .

مع ملاحظة أن هذا التوق الجسدي يبرز قوياً و حاداً في مراحل السياب الأخيرة . ومع طغيان فعل الموت واقترابه ، فإن الهاجس بالنساء والحلم بالزواج بهن يطغى هو الآخر على شكل حسرات وأحلام و قصائد "تضج بهوس الشاعر بالموت والجنس معاً ، و هو الهوس الذي لا يفارقه لسنين طويلة " (٢٦).

يقول في قصيدة بعنوان " سلوى " من ديوان : شناشيل ابنة الجلبي :

" أشم عبيرك الليلي في نبراتك الكسلى
يناديني و يدعوني
إلى نهدين يرتعشان تحت يدي و قد حلاَ
عرى الأزرار من ذاك القميص ، ويملأ الليلا
مشاعلَ في زوارق ، في عرائش ، في بساتين " (٢٧).

و لا يتحقق فعل الإخصاب أو الزواج ، أو الانتصار في حياة السياب و علاقاته العاطفية والجنسية التي باءت بالفشل ، فالمرأة " في المدينة تظل بعيدة عنه . إن البنات البرجوازيات اللواتي كن يحببن أن يتشبث بهن كن يردن أن يكون ذلك مجرد تسلية . أما لميعة التي كانت تنقل له المناشير فكان يسميها (الامبراطورة) ، معبراً عن علاقتها الفوقية به . كان وحيداً يحن إلى اللقاء ولكنه لا يصل . إن كل اللواتي أحبهن كان بينه وبينهن فواصل (...) وكانت لبيبة تكبره بسبع سنوات ، لقد كانت أماً . وكانت علاقة لميا به علاقة برجوازية تريد أن تتسلى بشاعر مسحوق ، أما لميعة فكانت صابئية ولقد أعجبت بشعره و

(٢٥) نفسه ، صـ ٦٦٦ – ٦٦٧ .
(٢٦) جبرا إبراهيم جبرا ، النار والجوهر ، دراسات في الشعر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢م ، صـ ٦٠ .
(٢٧) المجلد الأول ـ صـ ٦٧٩ .

أحبها ، و لكنهما لا يستطيعان الزواج (...) ، كان بدر يبحث عن حلم ضائع ، وكان يتصور السراب ماء فما يلبث أن يكتشف الحقيقة . "[٢٨] .

ويبدأ فعل الشلل و المرض ، و تتأزم حالة السياب الصحية و النفسية و تتعقد ، لتدخل مرحلة الغروب والخريف والموت ، بتحديدات نور ثروب فراي [٢٩] . وتتجسد هذه المرحلة في أعمال السياب بموت المدينة ، وانحدار القيم الإنسانية فيها ، و افتقاد الإنسان إلى الطمأنينة الروحية و النفسية ، فيبدو " تموز " قتيلاً ، وتبدو كروم المدينة إلى مبغى كبير في سجونها ومقاهيها و باراتها ، مقابل ذلك تلوح جيكور "الحلم " ، جيكور النقاء والشفافية يقول السياب في قصيدة بعنوان : "جيكور و المدينة " من ديوان أنشودة المطر :

"حصاد المجاعات في جنتيها .
رحى من لظى مر دربي عليها ،
وكرم من عساليجه العاقرات شرايين تموز عبر المدينة ،
شرايين في كل دار وسجن ومقهى
وسجن وبار و في كل ملهى
وفي كل مستشفيات المجانين ...
في كل مبغى لعشتار ..
يطلعن أزهارهن الهجينة :
مصابيح لم يسرج الزيت فيها وتمسسه نار
وفي كل مقهى وسجن ومبغى ودار :
(...)
وتموز تبكيه لاةُ الحزينة.
ترفع بالنواح صوتها مع السَّحَرْ
ترفع بالنواح صوتها ، كما تنهد الشجر
تقول : "ياقطار ، ياقدر
قتلت – إذ قتلته – الربيعَ والمطرْ " . "[٣٠] .

وبدلاً من أن تتحول دماء " تموز " القتيل ، إلى شقائق ، و خصب و خضرة ، فإنها تصبح أغصان كروم غير مثمرة في مدينة كل ما فيها ينهار ويسقط , وداخل هذه المدينة المنهارة بدورها و سجونها و باراتها و ملاهيها و مستشفيات المجانين فيها ، يصبح الفضاء بواراً وجدباً والأشجار تثمر ثمراً هجيناً ، و تصبح هذه الأشجار في الرؤية الشعرية مصابيح مطفأة لا زيت ولا نور فيها ، أي غير قادرة على إعطاء الثمار . وهنا أيضاً تبدو الاستفادة من النص القرآني الكريم ، إذ يستلهم الشاعر آية قرآنية كريمة هي قوله تعالى في سورة [النور] :

{ الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ،

(٢٨) ناجي علوش ، مقدمة ديوان بدر شاكر السيّاب ، المجلد الثاني ، صـ ٤٠ – ٤١ .
(٢٩) هيرمان نورثروب فراي ، في الأدب والنقد (الأدب والأسطورة) ، صـ ٣٤ .
(٣٠) المجلد الأول ، صـ ٤١٦ – ٤١٧ .

الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار } [النور ٣٥] ,"وهو يستلهم الآية الكريمة استلهاماً عكسياً ليولد منها مفارقة تصويرية بارعة ، فالمصابيح التي تثمرها أغصان الكرم العاقر – التي هي شرايين جيكور الممتدة عبر المدينة – ليست تلك المصابيح المباركة التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، و إنما هي مصابيح منطفئة ملعونة لم يسرج الزيت فيها و تمسسه نار"[٣١]، على أن "تموز" الذي اغتالته المدينة يمثل في نهاية المطاف " ذات السياب " ، الذي أحس بالضياع و المأساة في جميع المدن التي انتقل إليها . وأمام انحطاط المدينة ومفاسدها و ابتذالها ، المدينة التي قتلت " تموز " ، تلوح جيكور الحزينة التي تبكي " تموز " القتيل ، و لا تشير لفظة "لاة " هنا إلى عشتار الحزينة التي تبكي تموزها عند الإله العظيم "آنو " أو " ايا" إله السموات لكي يرده من عالم الجحيم بل تشير إلى قرية الشاعر "جيكور " ، لأن عشتار هنا ترتبط بلفظة "المبغى " ، و تفقد قيمتها الجمالية في كونها إلهة للخصب والحب والجمال ، لتصبح بنية من بنى المدينة المنحطة بمباغيها وسجونها و مستشفياتها . يقابل المدينة السوداء المنحطة عند السياب القرية الوادعة بنخيلها و ثمارها ، يقول السياب في القصيدة نفسها :

" و جيكور خضراء
مس الأصيل
ذرى النخيل فيها
بشمس حزينة ." [٣٢]

على أن جيكور الوادعة الجميلة والحزينة في آن ، القرية المكللة بشمس حزينة هي الأخرى محاصرة ومعزولة كما ذات الشاعر ، و من خلال توحد الذات الشاعرة مع الألم والمرارة و رحلتها مع المدينة الميتة ، ستضفى بعض خصائص هذه الذات على جيكور الوادعة، لتصبح الأسوار و البوابات قائمة في وجه جيكور ، يقول الشاعر في القصيدة نفسها :

" و جيكور من دونها قام سور و بوابة
واحتوتها سكينة .
فمن يخرق السور ؟ من يفتح الباب ؟ يدمي على كل قفل يمينه ؟
ويمناي : لا مخلب للصراع فأسعى بها في دروب المدينة
و لا قبضة لابتعاث الحياة من الطين ..
لكنها محض طينه ." [٣٣]

وفي هذه المرحلة برزت نزعة تشاؤمية و قلقة على قصائد السياب ، فأحس بالألم يعتصره لاندحار القيم الجمالية وقيم البطولة ، و باندحار هذه القيم يندحر إله الخصب

(٣١) د. علي عشري زايد ، قراءات في شعرنا المعاصر ، دار العروبة ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م ، صـ ١٤٤ .
(٣٢) المجلد الأول ، صـ ٤١٨ .
(٣٣) نفسه ، صـ ٤١٩ .

والعطاء "أدونيس " أمام الموت ، و تشحب الحياة ، وتجف الحقول ، فلا المناجل تحصد و لا الأزهار تعقد ثماراً ، إنه الحس بالفاجع الذي لن يستطيع السياب الصمود أمامه،بل سيزيد حياته بؤساً وقتامةً . ويعزو أحد النقاد هذه القتامة إلى "حياته الخاصة (إذ) كانت (...) نظرية موزعة بين طرد و رحلة و محاولات نسائية فاشلة – ولكن ينبغي ألا نسقط من حسابنا ظروف مجتمعه هو و ظروف المجتمع العربي كله .. ظروفه العائلية ، و ظروف العراق ، و ظروف الوطن الكبير الذي غنى له في وهران وبور سعيد تماماً كما غنى له وهو على شاطئ الخليج."[٣٤] وتتجلى هذه النزعة السوداوية واضحة من خلال قصيدته المعنونة بـــ"مدينة السندباد " ، إذ يعجز البطل الأسطوري "أدونيس " أو "تموز " عن إخصاب الأرض وزرع الخضرة والحياة فيها ، فبدلاً من أن يقبل " أدونيس " على الحياة مليئاً ببذور الخير و العطاء فإنه يقبل فارغ اليدين ، زائغ النظرات ، يقول السياب :

"أهذا أدونيس ، هذا الخواء ؟
وهذا الشحوب ، وهذا الجفاف ؟
أهذا أدونيس ؟ أين الضياء ؟
وأين القطاف ؟
مناجل لا تحصد ،
أزاهر لا تعقد ،
مزارع سوداء من غير ماء !
(...)
أدونيس ! يا لاندحار البطولة ،
لقد حطم الموت فيك الرجاء
وأقبلت بالنظرة الزائغة
وبالقبضة الفارغة :
الموت في الشوارع ،
والعقم في المزارع
وكل ما نحبه يموت ." [٣٥]

وستزداد هذه النزعة التشاؤمية قتامة مع تأزم حالة السياب الصحية ، و شلله شبه الكامل ، وإحساسه الأكيد باقترابه من حافة الموت في أيامه الأخيرة ، و ستؤثر هذه الحالة على طبيعة الرؤية الشعرية التي يتم من خلالها توظيف اسطورة " تموز وعشتار " ، ويمكن القول إن هذا التوظيف يدخل ضمن المرحلة الرابعة والأخيرة ، حسب تقسيمات نور ثروب فراي للمراحل المختلفة التي مرت بها الأسطورة ، وهي : مرحلة الظلام و الشتاء و الفناء[٣٦]. وفي المرحلة يلغي السياب انبعاث البطل الأسطوري أدونيس أو تموز ، وتتعمق تجربة

(٣٤) د. أحمد كمال زكي ، دراسات في النقد الأدبي ، دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، حزيران (يونيو) ، ١٩٨٠م ، صـ ٢٥١ .
(٣٥) أنشودة المطر ، المجلد الأول ، صـ ٤٦٦ – ٤٦٧ .
(٣٦) هيرمان نورثروب فراي ، م س ، صـ ٣٤ .

المأساة عنده ، ويصبح الموت حاضراً في كثير من قصائده ، بل هاجساً يومياً . يقول في قصيدة بعنوان " تموز جيكور " من ديوان : أنشودة المطر :

"ناب الخنزير يشق يدي
ويغوص لظاه إلى كبدي ،
ودمي يتدفق ، ينساب :
لم يغد شقائق أو قمحا
لكن ملحا .
...
لو أنهض ، لو أحيا !
لو أسقى ! آه لو أسقى !
لو أن عروقي أعناب !
وتقبل ثغري عشتار،
فكأن على فمها ظلمه
تنثال علي و تنطبق
فيموت بعيني الألق " [٣٧].

إذا كانت دماء البطل الأسطوري أدونيس أو تموز الذي صرعه الخنزير البري أو إله الحرب " آريس " أحد عشاق أفروديتي أو عشتار [٣٨] تتحول في الأسطورة إلى شقائق نعمان وربيع أخضر ، فإن حياة الشاعر ودمه يتحولان إلى ملح ، وهنا يلتقي البطل الأسطوري والشاعر في كونهما مغتالين ، الأول بالرؤية الأسطورية ، والثاني بفعل ظرف مأساوي يتعلق بظرف سياسي صعب ، أو وضع صحي سيء ، و إذا كان اغتيال "تموز " يعني الخلق و الولادة الجديدة ، فإن الشاعر يجسد قمة المأساة لأن دمه يتحول إلى ملح ، وتفقد عشتار قدراتها على إشعال قناديلها السرية الأسطورية لإنارة حياة الشاعر و إخصابها ، و بالتالي إبعادها شبح الموت ، فالملح نقيض الخصب ، بل هو في مستوى البنية الرمزية الشعرية عدوه الأول .

تبرز قصائد السياب في هذه المرحلة هماً فردياً ، و إن غلب هذا الهم على هذه القصائد فإنه يمكن أن يشير من مستوى آخر إلى هموم إنسانية عامة ، فمأساة كثير من أفراد المجموع الإنساني تتماثل و حالة السياب و ذلك نظراً لتشابه الظروف في بنيتها العميقة ، سواء أكانت سياسية أم اجتماعية في القطر العربي الواحد ، أو في مجموعة من الأقطار ، و هي ظروف قاسية و متخلفة ، و الإنسان يعيشها محاصراً ويائساً و فاقداً آماله في مستقبل مشرق، لكن إحساس السياب بالفاجع كان أعمق من غيره ، وحساسيته تجاه الأشياء و الأوضاع السياسية والاجتماعية التي من حوله أكثر إفراطاً و عمقاً ، ولذا يبدو طبيعياً أن يتعمق هذا الفاجع والحساسية في معظم قصائده ، حتى لتبدو أمام القارئ رؤى ذاتية خاصة . "إن بدر السياب شاعر حقيقي ، لا تجد حياته خارج شعره مطلقاً ، و لعله من بين القلة من الشعراء الذين

(٣٧) المجلد الأول ، صـ ٤١٠ – ٤١١ .
(٣٨) جيمس فريزر ، أدونيس أو تموز ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالث ، ١٩٨٢م ، صـ ٢٣ .

تشير إلى مسيرتهم الشعرية حين تريد أن تؤرخ لهم ، فالسياب يوحد بين الحياة والشعر بشكل مدهش حتى أننا نجد ضعفه وقوته ، حبه و كراهيته ، وكل مؤشرات نفسه المفرطة في حساسيتها مبثوثة في كلمات قصائده .. "[٣٩] ، و من بعض المؤشرات النفسية الخاصة التي تظهر في قصائده إحساسه بدنو الموت و هو على نقالة إسعاف ،و أمام الحالة هذه يحاول أن يربط بين الذاتي والموقف الأسطوري ، فطالما آماله في الشفاء تتلاشى ، فإن البطل الأسطوري " تموز " هو الآخر يموت وتغور دماؤه في كهوف معتمة مظلمة لا انبعاث منها ، يقول في قصيدة بعنوان " أغنية في شهر آب " ، من ديوان " أنشودة المطر " :

" تموز يموت على الأفق
وتغور دماه مع الشفق
في الكهف المعتم . و الظلماء
نقالة إسعاف سوداء
وكأن الليل قطيع نساء :
كحل وعباءات سود
الليل خباء
الليل نهار مسدود .
" الليل ، الخنزير الشرس ،
الليل شقاء !"." [٤٠]

على أن هذه المؤشرات النفسية الخاصة ستنفلت من حقلها الذاتي لتشير إلى فضاء أوسع هو فضاء الوطن ، ولترى في المدينة بؤرة للفساد والقتل والموت ، فكما يفنى الإله الأسطوري "تموز" في رؤية السياب الذاتية نتيجة مرضه الشديد ، فإن الخصب سيغيب عن المدينة ، حيث لا ماء و لا حقول ، و لا إله فيها ، وحيث إلهة الخصب –عشتار –عطشى ، و المدينة تنزف دماً و مآسي ، و الحاكم فيها يعربد خيانة ، و يأخذ السياب من الحقل التاريخي و الأسطوري شخصية "يهوذا " ،خائن المسيح ، ليشير به إلى هذا الحاكم المعاصر . يقول في قصيدة بعنوان " مدينة السندباد ":

" أهذه مدينتي ؟ أهذه الطلول
خُطَّ عليها : " عاشت الحياة "
من دم قتلاها ، فلا إله
فيها ، ولا ماء ، ولا حقول ؟
أهذه مدينتي ؟ جريحة القباب
فيها يهوذا أحمر الثياب
يسلط الكلاب
على مهود إخوتي الصغار ... و البيوت ،

(٣٩) حاتم الصكر ، الأصابع في موقد الشعر ، مقدمة مقترحة ل قراءة القصيدة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، صـ ٣٠٠ .
(٤٠) المجلد الأول ، صـ ٣٢٨ – ٣٢٩ .

تأكل من لحومهم . و في القرى تموت
عشتار عطشى ، ليس في جبينها زهر ،
وفي يديها سلة ثمارها حجر
ترجم كل زوجة به . وللنخيل
في شطها عويل . " [٤١]

وإذا كانت هذه التقسيمات السابقة التي اعتمدها نور ثروب فراي ، قد ساعدت على دراسة أسطورة " تموز و عشتار " في أعمال السياب ، فإنه ليس من المؤكد والفعال أن تفيدنا في دراسة أعمال أخرى لشعراء آخرين ، وذلك لأنها تبقى مجرد اقتراح منهجي و ليس شرطاً أن يكون ذا جدوى و فعالاً في قصائد أخرى ؛ لأن هذه المراحل بتقسيماتها لا يمكن أن تكون متسلسلة زمنياً عند شعراء آخرين ، و لا يمكن أن نجدها مجتمعة عند شاعر معين . إن بعضاً منها يظهر و يختفي ، و حتى عند السياب نفسه تتداخل فيما بينها وتتفاعل ، بحيث نجد مرحلة الربيع و الميلاد ، مع مرحلة الظلام والشتاء والفناء في القصيدة الواحدة ، وذلك راجع لحياة السياب المتوترة والقلقة و المتبدلة من لحظة شعرية إلى أخرى ، هذه الحياة المليئة بكثير من أنواع الدرامة في "دراسته ، صباه في جيكور ، فقره ، غرامياته ، سياسياته ، اعتقالاته ، خيباته ، فدائياته ، عذابه ... (هذه الحياة) كلها درامة متصاعدة يحتل هو فيها بؤرة ملتهبة، وقصائده لذلك قد تؤخذ كلها معاً كمأساة درامية متكاملة تسترسل ، و تنمو ، وتتصاعد، نحو ذورة من ذرى التجربة الإنسانية الرامزة إلى الحياة البشرية : في ظرف معين من التاريخ في ربع قرن من زمان مفعم بالأحداث و التفجرات – و في ظرف مطلق ، هو ظرف الحياة العربية الجديدة ، أو ظرف الحياة الإنسانية في أي زمان . "[٤٢] .

لقد استفاد السياب من التراث الأسطوري ، و وظفه في شكل فني معاصر ، انطلاقاً من حسه الإنساني المرهف ، ليعبر به عن الذوات الجماعية في همومها و مآسيها ، هذه الذوات التي تلتقي في النهاية في كثير من همومها و تطلعاتها مع ذاته المرهفة . وقد حاول مراراً أن يخرج عن نسق الأسطورة في بعدها المعجمي ليطوعها لصالح رؤيته الشعرية ، وبالتالي تخطت الدلالة الواحدة الثابتة لتشير إلى مجموعة حالات معاصرة بدلالات متغايرة ، فالأسطورة في بداية استخدامها " كانت (...) في بعدها المعجمي بدلالة واحدة ثابتة ، أما الآن فإنها تستخدم في بعد إشاري معقدة ." [٤٣] . وقد ظهر هذا البعد في أعمال السياب فهو مرة ذاتي خاص ، وأخرى جمعي ، و إقليمي مرة ، و قومي عربي يتعلق بأوضاع العالم العربي مرة أخرى، وأخرى عالمي كونه يشير إلى قضايا الإنسانية أنى كانت .

* الدكتور محمد يونس قاص وروائي ، وباحث ، وأستاذ جامعي . دكتوراه في النقد الأدبي ، له تسعة كتب منها : ولادة بنت المستكفي في فاس . قام بالتدريس في عدد من الجامعات العربية . والآن يدرس في جامعة الباحة بالمملكة العربية السعودية .

(٤١) نفسه ، صـ ٤٧٢ – ٤٧٣ .
(٤٢) جبرا إبراهيم جبرا ، النار والجوهر ، صـ ٥٠ .
(٤٣) د. كمال أبو ديب ، (الواحد / المتعدد) ، مجلة كلمات ، اتحاد أدباء البحرين ، المنامة ، العدد الثاني ، مارس ١٩٨٤م ، صـ ٣٨ .

المصادر والمراجع

(١) د. أحمد كمال زكي ، دراسات في النقد الأدبي ، دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، حزيران (يونيو) ، ١٩٨٠ م.

(٢) الياس خوري ، دراسات في نقد الشعر ، دار رشد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، كانون الثاني ، ١٩٧٩ م.

(٣) بدر شاكر السياب ، ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ، طبعة ١٩٨٩ م. المجلد الأول والثاني.

(٤) ب . كوملان ، الأساطير الإغريقية والرومانية ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، سلسلة الألف كتاب (الثاني) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ م.

(٥) جبرا إبراهيم جبرا ، ينابيع الرؤيا ((دراسات نقدية)) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م.

(٦) جبرا إبراهيم جبرا ، النار والجوهر ، دراسات في الشعر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢ م .

(٧) جيمس فريزر ، أدونيس أو تموز ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢ م .

(٨) حاتم الصكر ، الأصابع في موقد الشعر ، مقدمة مقترحة لقراءة القصيدة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ م .

(٩) دريني خشبة ، أساطير الحب والجمال عند اليونان ، المجلد الأول ، دار التنوير ، بيروت ، طبعة ١٩٨٣ م .

(١٠) د . عبد الحميد يونس ، معجم الفلكلور ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى،١٩٨٣م .

(١١) د . عبد المعطي شعراوي ، أساطير إغريقية (أساطير البشر) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ م .

(١٢) د . علي عشري زايد ، قراءات في شعرنا المعاصر ، دار العروبة ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ م .

(١٣) د . عيسى بلاطة ، بدر شاكر السياب ، حياته وشعره ، دار النهار للنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١م .

(١٤) د . كمال أبو ديب ، ((الواحد /المتعدد))، مجلة كلمات ، اتحاد أدباء البحرين ، المنامة ، العدد الثاني ، مارس ،١٩٨٤ م.

(١٥) ناجي علوش ، ((بدر شاكر السياب)) ، مقدمة ديوان بدر شاكر السياب ، المجلد الثاني .

(١٦) د . هاشم ياغي ، الشعر الحديث بين النظر والتطبيق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م.

(١٧) هيرمان نور ثروب فراي ، في الأدب والنقد (الأدب والأسطورة) ، ترجمة د . عبد الحميد إبراهيم شيحة ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، الطبعة الأولى ، يناير ١٩٨٩ م.

أدب الطفل في المملكة العربية السعودية ... دراسة تاريخية فنية

د . صباح عبد الكريم عيسوي *

يعد أدب الطفل أحد روافد الأدب الحديث في المملكة العربية السعودية ، فعلى الرغم من جدته بحساب الزمن ، لكنه أستطاع أن يقفز قفزات واسعة في تلك الفترة الوجيزة ليصل إلى مستوى يضاهي أدب الطفل العربي وينافس أدب الطفل العالمي . فكيف نشأ هذا الأدب ؟ وما علاقته بتربية الطفل ؟ وما العوامل التي ساعدت على ظهوره ؟ وما سماته الفنية ؟ ومن رواده ؟ وهل واقع أدب الطفل السعودي اليوم يظهر هوية مستقلة له ومكانة مميزة ؟ أسئلة هامة تسعى هذه الدراسة للإجابة عليها لتضع أمام القارئ نبذة عن نشأة أدب الطفل السعودي ومراحل تطوره في دراسة شاملة لتاريخ هذا الفن ومسيرة تطوره وسماته الفنية .

لا شك أن الأدب الجيد الموجه للطفل له دور هام في تكوين شخصية الطفل ؛ فهو وسيلة ترفيهية تعليمية تربوية فاعلة تعمل على توفير المتعة والفائدة للطفل في نفس الوقت الذي تعمل فيه على تزويده بالخبرات والمعارف ؛ والأدب أداة لغرس القيم والمبادئ والأفكار التي يسعى المجتمع إلى تربية الأجيال الصاعدة عليها بطريقة مؤثرة لا تنفر الطفل ، وتعمل على المساهمة في تنشئته وتحقيق النمو المتكامل له (الهيتي :٧٢؛ نجيب ٦٤؛سعيد ١٣-١٤). فعن طريق نشيد نظم الشاعر كلماته بعناية وضبط أوزانه يمكن أن نجعل الطفل يستشعر عظمة الخالق أو يعرف أهمية الصداقة و هو يردد كلمات النشيد مستمتعاً بحلاوتها وبعذوبة موسيقاها ؛ وتستطيع قصة كتبها أديب متمكن حول موضوع يمس اهتماماته . راعى فيها العناصر الفنية لهذا الفن . وخاطب بها عقل الطفل ووجدانه وصاغها بلغة يدرك مفرداتها وتراكيبها أن تغرس قيمة الصدق في شعور الطفل أو أن تنمي لديه حب الوطن .

و للأدب دور جوهري في تشكيل هوية الطفل العقائدية والقومية والثقافية (أبو الرضا:٢٤). فمن خلاله يتشرب الطفل عقيدته ويتعرف على خالقه ؛ وبواسطته يَطَّلِعُ على تاريخ أمته وتراثها وأمجادها ، مما يدعم إحساسه بالانتماء لهذه الأمة ، ولهذا التراث و يصله بماضيه ؛ فتتشكل الروابط بين الأجيال المتتالية هي دعامة من دعامات تأكيد الهوية القومية لدى الفرد . وفي نفس الوقت ، فإن الأدب الذي يكتب عن الشعوب الأخرى وذلك الذي يترجم عن ثقافات مختلفة له دوره في توسيع مدارك الطفل وإثراء خبراته ، إذ يسافر عبر أحداث القصة أو المسرحية وبرفقة شخصياتها إلى بلدان بعيدة وقارات متباينة ليتعرف على عادات وثقافات تختلف عن ثقافته ، مما يرسم في وجدانه هويته المتميزة عن غيرها ، وينمي لديه تقدير الشعوب الأخرى في العالم .

و لأدب الطفل دور كبير في بناء ثقافته ؛ فهو يزوده بمعلومات وخبرات ومهارات متنوعة ؛ و هو يشبع فضوله ويغذي حواسه ويفتح له آفاق المعرفة . وتنعكس هذه الفوائد إيجابياً على نظرته للكتب وحبه للقراءة عموماً التي هي أوسع الطرق إلى تكوين ثقافة الطفل . و من الفوائد العظيمة لأدب الطفل ، المساهمة في تحقيق النمو اللغوي لدى الطفل ؛ فسماع الطفل للقصص والقصائد تارة وقراءته لها تارة أخرى ومشاهدته للمسرحيات يكسبه مفردات وتراكيب جديدة تثري لغته وتجعله قادراً على أن يعبر لغوياً عن حاجته وأفكاره ومشاعره ،

وأن يتواصل مع الآخرين بنجاح . و من خلال الأسلوب الفني الجميل للكلمة والصورة في كتاب الطفل يكتسب خبرات التذوق الجمالي وينمو لديه الحس المرهف والإحساس بالجمال.

وقد ركز كثير من النقاد و المختصين في علم النفس والتربية على دور الأدب في تحقيق النمو المتكامل للطفل . فهو يسهم في النمو الادراكي للطفل حيث يشحذ الأدب العمليات العقلية عند الطفل مثل التذكر،الملاحظة،التصور،المقارنة،التصنيف و غيرها (Norton , ٨ – ١٤) كما ينمي الأدب كذلك مهارات التفكير العليا لدى الطفل كالتفكير الناقد والتفكير الإبداعي (Carlile ،٨) . وقد أثبتت الدراسات والتجارب العملية أن الأدب يعلم الطفل التركيز والانتباه بما يحتويه من عناصر مشرقة ، ومن ناحية أخرى فإن الأدب بأشكاله المختلفة ينمي خيال الطفل ويشبع حبه للتخيل ، مما يوسع مداركه ويجعله قادراً على إدراك ما لا يمكن إدراكه بالحواس ، فالقصة الناجحة سواء الواقعية أو الخيالية تأخذ الطفل إلى عوالم مختلفة قد تقترب من واقعه وقد تبتعد عنه ،وتجعله يتفاعل مع بطل القصة ويخوض معاركه ويتماهى مع وجدانه ، فيفرح لفرحه وقد يبكي لحزنه ويواجه المصاعب معه ويشعر بلذة الانتصار في نهاية القصة . ومن خلال التماهي مع شخوص القصة والمواقف التي يتعرضون لها يستطيع الطفل التعامل مع أحاسيسه والتغلب على المشاعر السلبية بداخله (Norton ٥). فيخرج من هذا كله بتجارب مفيدة لنموه الإدراكي والنفسي والاجتماعي .

ويؤكد العلماء على هذا الدور لأدب الطفل ، فمن خلال القصة أو الأنشودة أو النص المسرحي الذي يناقش مشاعر الطفل ومخاوفه وعلاقاته يصل القارئ إلى التعرف على مشاعره واكتشافه لذاته وللعالم من حوله ولعلاقاته مع هذا العالم ، بل إن للأدب وظيفة علاجية ، إذ يستخدم من قبل المعالجين النفسانيين في التخلص من المشكلات النفسية قد يتعرض لها بعض الأطفال خلال نموهم أو بسبب عوامل بيئية كالخجل والخوف والعزلة وضعف الثقة بالنفس . (Bettelheim ٨) . أما من جانب النمو الاجتماعي فإن الأدب يساعد الطفل على الاندماج في المجتمع عن طريق عرض نماذج لعلاقات اجتماعية مع الآخرين ، وتعريفه بالأدوار الاجتماعية المختلفة لفئات المجتمع . و هو يشجع الأطفال على الاختلاط بأقرانهم لسماع قصة أو أداء مسرحية ، وهذا من شأنه مساعدتهم في تكوين علاقات جديدة وتعلم المهارات الإجتماعية (Norton ٢٠-٣٠) .

أشكال أدب الطفل ووسائطه :

إذا أخذنا بالتعريف العام لأدب الطفل ، فإننا نجده يشمل " الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة للأطفال في شتى فروع المعرفة " (نجيب : ٢٧٨)؛ أما في معناه الخالص فهو " الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية .. سواء كان شعرا أو نثرا .. وسواء أكان شفوياً بالكلام ، أو تحريريا بالكتابة .. " (نجيب : ٢٧٩) . ووفقا لهذا التعريف فإن وسائط هذا الأدب تتنوع لتشمل الأدب المكتوب والذي نجده في شكل الكتاب والمجلة والصحيفة ، والأدب المرئي والمسموع الذي يعرض عن طريق التلفاز والمسرح والكمبيوتر أو يقدم من خلال الإذاعة والوسائط السمعية من شريط كاسيت و إسطوانة مدمجة . وتعد

المشافهة أقدم وسائط الأدب إذ يعتمد فيها القاص على سرده الشفهى للقصة باستخدام صوته وتعبيراته الجسدية . أما أشكال أدب الطفل فتتنوع بتنوع الجنس الأدبي ؛ وأبرز أشكال أدب الطفل وأكثرها شيوعا القصة (سعيد :٨٧؛ الهيتي : ١٣٣؛ نجيب : ٩٠) تليها القصيدة والأنشودة ثم المسرحية . وتتعدد أنواع القصص حسب موضوعاتها وشخصياتها و الهدف منها ؛ فنجد الكاتب أحمد نجيب مثلاً يقسمها إلى : قصص الخيال ، وقصص الحيوان ، والقصص الواقعية ، وقصص المغامرات ، والقصص الشعبية ، والقصص التاريخية ، والقصص العلمية، والقصص الفكاهية ، وقصص المغامرات (نجيب : ٨٤) .

أدب الطفل ضرورة ملحة :

نظراً الدور أدب الطفل في تثقيفه ، وتنمية خبراته ، وتكوين الاتجاهات السليمة لديه ، لذا ارتبط أدب في حضارات شعوب العالم المختلفة منذ بداياته الأولى بالتربية ، وأصبح قناة هامة من قنوات إعداد الأجيال يصب فيها القائمون على الطفولة ما يسعون لتحقيقه . فكتاب الطفل يمكن أن يكون وسيلة تربوية مؤثرة إذا نجح الكاتب في صياغة موضوعه بطريقة فنية تتناسب مع المرحلة العمرية التي يخاطبها وسماتها النفسية والادراكية واللغوية ليجد فيه الطفل ما يشبع فضوله للمعرفة ويغذي حواسه ويخاطب اهتماماته ويملأ عالمه بالتسلية والفائدة . وإن نجح الكاتب في تحقيق ذلك فإنه يهيؤه للتعلم مما يعمل على إيجاد التأثير المطلوب في نفس الطفل وعقله ويحفزه على الاستفادة من مضمون الكتاب .

ونظراً لمرونة عناصر قصة الطفل وجاذبيتها ، فقد أصبحت الوسيلة الأكثر طواعية لتحقيق النمو الأخلاقي السليم للطفل عن طريق تشكيل القيم التي يرغب المجتمع في غرسها في نفوس الناشئة . إذ تعمل القصة على بث القيم والاتجاهات المرغوبة في نفس الطفل ، وتنمي لديه الإحساس المرهف والعقل المفكر . ولا شك أن عامل المتعة والتشويق في القصة بالإضافة إلى قيمتها الفنية الجمالية يزيد من فاعليتها وتأثيرها . وقد اعتمدت الكتب السماوية على القصة في التعليم والتهذيب (عبد الواحد : ٩٢) . كما استخدمها المربون منذ القدم كوسيلة مؤثرة لتحقيق الأهداف التي يسعون إليها . [١]

العوامل التي ساهمت في تشكيل أدب الطفل السعودي :

يمكن القول بأن أدب الطفل في المملكة العربية السعودية نشأ نتيجة مجموعة من العوامل . فقد كان للنظرة الجديدة للطفل في العالم العربي عامة أثر على ظهور أدب موجه للطفل السعودي ، شأنه في ذلك شأن أطفال العالم العربي وإن تأخر بعض الشيء عن الدول العربية التي كانت لها الريادة في هذا المجال مثل مصر والعراق . ويرى د. إسماعيل عبد الكافي أن تطور أدب الأطفال في المملكة جاء "نتيجة طبيعية لتطور الاهتمام بالأدب العربي السعودي ، ومواكبته للأدب العربي الحديث "(٨٢)كما أن النهضة الاقتصادية والثقافية التي عمت المجتمع السعودي على جميع المستويات في الثلث الأخير من القرن العشرين الميلادي أثرت بشكل كبير على صياغة منظومة ثقافية جديدة تعم البلاد وتشمل جميع فئاته ومنهم الأطفال، مما أحدث تغييرا جذريا في المجتمع السعودي . وقد انعكست آثار الطفرة الاقتصادية وارتفاع مستوى المعيشة على مستوى التعليم وزيادة الوعي الثقافي بين أفراد

المجتمع خاصة المرأة ، وهذا بدوره أثر إيجاباً على الاهتمام بتنشئة الطفل وتثقيفه (باطويل : ٢٦٧) . ولا شك دخول وسائل التكنولوجيا الحديثة للمجتمع ساهم في الانفتاح الثقافي على العالم والاطلاع على ما يقدم للطفل في البلاد المتقدمة .

وعلى مستوى الخدمات المقدمة للطفل ، يمكن القول أن أدب الطفل في المملكة العربية السعودية نشأ كنتيجة طبيعية لاهتمام الدولة السعودية بالطفولة التي تمثل أساس المجتمع السعودي ، ودعامة من دعائم بناء مستقبلة ؛ فقد أولت الدولة اهتمامها بالطفل وببرامج تنشئته ورعايته ضمن استراتيجيات واضحة حددتها في خططها التنموية ابتداء بالخطة الأولى الصادرة في ١٣٩٠-١٩٧٠ .[٢] ولتحقيق تلك الرعاية أنشأت المؤسسات التي تقوم على الطفل وعلى تربيه وتعليمه ؛ وترعاه نفسياً وصحياً وإجتماعياً ؛ وتضمن له حقوقه . وماعضوية المملكة في المنظمات الدولية للطفولة إلا دليل واضح على اهتمامها بالطفل : فالمملكة عضو في منظمة اليونيسيف منذ ١٩٦١م ، وهي عضو في برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمانية منذ تأسيسه عام ١٩٨١في الرياض ، كما أنها عضو في كل من مكتب التربية لدول الخليج العربي ، المجلس العربي للطفولة والتنمية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .. وكل هذه المنظمات تعد برامج خاصة بالطفل . وقد شاركت المملكة في التنظيمات واللوائح التي من شأنها حماية الطفولة ورعايتها فقد انضمت المملكة إلى الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل عام ١٤١٦هـ -١٩٩٥ م.

ويظهر الاهتمام بالطفولة كذلك في المؤسسات المحلية التي أسست لتخدم الطفل وتقوم على شؤونه ويتصدرها برامج تعليم الطفل ، وهناك كذلك المؤسسات التي ترعى إبداع الطفولة وحاجاتها الخاصة ، إذ نجد مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين ؛ كما نجد كذلك برامج رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة والتعليم الخاص . ويتبلور اهتمام المملكة بالطفولة في تأسيس جمعية تعنى بالطفل وترعى شؤونه هي اللجنة الوطنية السعودية للطفولة التي أنشأت عام ١٣٩٨هـ -١٩٧٩م وفقا لقرار وزراي يحدد صفة اللجنة لكي تصبح " جهازاً دائماً لرسم السياسة العامة لرعاية الطفولة وتطويرها والتنسيق بين الجهود المبذولة وتقويمها " (إبراهيم والأحمد : ٣٩) . كما يوجد بوزارة الثقافة والإعلام لجنة تعنى بثقافة الطفل اتخذت من هذه المهمة العظيمة اسما لها . وللملكة حضور فاعل في المؤتمرات التي تعقد حول العالم لمناقشة شؤون الطفل وقضاياه . كما تنظم اللقاءات على الصعيد الإقليمي والمحلي وكان آخر الندوات التي عقدتها اللجنة الوطنية للطفولة " ندوة الطفولة المبكرة .. خصائصها " في الفترة من ٢٦إلى ٢٨ شعبان ١٤٢٥ (أكتوبر ٢٠٠٤) بمركز الملك فهد الثقافي بالرياض شارك فيها ٩١ باحثاً من مختلف أنحاء العالم .

و من أهم مظاهر الاهتمام بالطفولة التي كان لها أثرها الإيجابي في تطور أدب الطفل بالمملكة إنشاء دور للتعليم ما قبل الإبتدائي أطلق عليها مرحلة رياض الأطفال تعمل على تهيئة الأطفال من سن ٤_٦ سنوات للدخول في التعليم . وقد ازداد عدد هذه الرياض وانتشرت في المدن والقرى وازداد الوعي بأهمية تلك المرحلة في تنشئة الطفل السعودي . و من ثم ظهرت الحاجة إلى أدب جيد يخاطب مرحلة الطفولة المبكرة ويسهم في تحقيق أهداف

هذه المرحلة والسعي نحو النمو السليم لشخصية الطفل . فضمنت لجان إعداد المناهج نماذج من قصص الأطفال وأناشيدهم ضمن توصيفها ، وأرشدت المعلمة لكيفية التعامل معها [٣] . وبدأت معلمة الرياض في البحث عما يتوفر من كتب تتناسب مع الأطفال وتخدم المنهج وتحقق أهدافه . فنشطت حركة البحث عن أدب جيد يقدم للطفل ، وقامت الرياض بإنشاء مكتبة داخل الصف كأحد أركان التعلم . بل إن بعض المعلمات قمن بتأليف وإخراج القصص والأناشيد وإعداد الأنشطة التي تقرب الكتاب من الطفل وتجعله مصدراً للمتعة والمرح . وكان لهذا أثره في تشجيع الأسرة على الإطلاع على أدب الطفل و الإقبال عليه .

وكان من نتائج الاهتمام الملحوظ بأدب الطفل في المملكة ، نشاط الدراسة العلمية النقدية لهذا الأدب ؛ ما أسهم في التعريف بالأدب وصياغة هوية أكاديمية له اتضحت مع ظهور الدراسات النقدية التي تقوِّم ما يكتب للطفل وتضعه في ميزان النقد الأدبي . وما الندوات واللقاءات التي تعقد في المملكة وتناقش الكتابة للطفل والأسس الفنية التي يقوم عليها ، إلا دليل واضح على وجود حركة عملية جادة في مجال أدب الطفل وثقافته . و من أمثلة تلك الدراسات الندوة التي أقيمت ضمن فاعليات المهرجان الوطني الثامن للتراث والثقافة عام ١٤١٣هـ تحت مسمى " الموروث الشعبي بالابداع الفني والفكري في العالم العربي " ؛ وتلك التي نظمتها جمعية الثقافة والفنون بالدمام عام ١٤١٧هـ و من مظاهر الاهتمام العلمي بهذا الفرع الحيوي من فروع الأدب دخول أدب الطفل كعلم يدرس في بعض الجامعات السعودية ضمن مقررات قسم الأدب العربي . كما خصصت كليات ومراكز إعداد معلمات رياض الأطفال حيزا لأدب الطفل ضمن برامج إعداد المعلمة ، واهتم الأكاديميون و الباحثون به كمجال خصب لإعداد البحوث ورسائل الماجستير والدكتوراة ؛ فظهرت خلال العقدين الماضين العديد من الدراسات القيمة التي تناولت تطوره وتحديد ملامحه وأشكاله وأغراضه وتحليل نماذج منه ؛ مما أثرى هذا الأدب وأكد على هويته المستقلة عن الأدب العام . و لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكليات البنات مساهمة واضحة في تشجيع البحوث في مجال أدب الطفل.[٤]

وكان من الطبيعي أن تسهم النهضة الثقافية التي شهدتها المملكة في دفع عجلة أدب الطفل قدما . و من آثار تلك النهضة ظهور مؤسسات ثقافية سعودية تعنى بأدب الطفل ضمن مهامها وتشجع التأليف فيه مثل جمعية الثقافة والفنون والأندية الأدبية . وتمثل اهتمام هذه المؤسسات بالطفل في عدة جوانب منها عقد الندوات واللقاءات والمحاضرات ومنها محاضرة للدكتور محمد الربيع " الكتابة للطفل والكتابة عنه " التي ألقاها في نادي الشرقية الأدبي بتاريخ ١٤١٨/١٠/٢٠هـ . كما أسهمت هذه المؤسسات في نشر الدراسات المتخصصة في أدب الطفل وتحليله ونقده . فقد أصدر النادي الأدبي بجدة عام ١٤١٣ه-١٩٩٢م دراسة للأستاذ عبد التواب يوسف تحت عنوان فصول في أدب الطفل المسلم . و اسهمت الأندية بنشر الإنتاج الأدبي الموجه للطفل ، فعلى سبيل المثال نشر نادي الطائف الأدبي عام ١٤١٨ ه للكاتب يوسف المحيميد سلسلة مغامرات الأشجار ، بينما أصدر النادي الأدبي بحائل ثلاث مجموعات قصصية للكاتب عبد الحفيظ الشمري تحت عنوان سلسلة

قصص للأطفال ١٤٢٠. وكان من ضمن اصدارات نادي الشرقية الأدبي أناشيد الطفولة للشاعر عبد الله الخالد ١٤١٨هـ.

لا شك إن الاهتمام بالكتابة للطفل ونشاط حركة النشر له من أهم العوامل في صناعة أدب للطفل في المملكة وقد بدا هذا الاتجاه واضحا جليا في العقود الثلاثة الماضية. فالطفل قاريء نهم واهتمامات الأطفال وميولاتهم القرائية متعددة، والحاجة إلى تعليم الطفل ضرورة لتكوين الفرد في المجتمع, لذا وجد الناشر مجالاً خصباً للعمل، وفراغاً كبيراً يعمل على شغله. فبرزت للساحة دور نشر بعضها خصص إنتاجه للطفل والآخر جعله أحد مجالاته المتعددة. مما شجع الكتاب من السعوديين والعرب المقيمين في السعودية على الكتابة للطفل، وهذا بلا شك أضفى تنوعا مرغوباً في الكتب الصادرة وخبرات جديدة وأساليب متعددة. وقد رصدت الدراسات المسحية لدور النشر التي أصدرت كتبا للطفل ما بين ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م إلى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م عشرين دار نشر في الرياض وجدة و الأحساء (باطويل: ٢٥٤-٢٥٨)؛ ولكن على الرغم من ازدهار حركة التأليف والنشر والتسويق لكتاب الطفل إلا أن ارتفاع تكاليف نشر الكتب وتوزيعها و النظرة السائدة لكاتب الطفل جعل كثيراً من الكتاب يحجمون عن الاستمرار في الكتابة.

ومن العوامل التي شجعت على بروز أدب الطفل في المملكة اهتمام المؤسسات الثقافية بإصدار كتب للطفل وعنه لتسهم بذلك في دفع حركة التأليف والنشر قدماً. و من أمثلة الجهود التي بذلتها المؤسسات الأكاديمية إصدار الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سلسلة قصص إسلامية للأطفال تحتوي ٤٥ عنوانا في الفترة من ١٤٠٣ حتى ١٤١٦هـ. و على الرغم من العيوب الفنية في كثير من أجزاء تلك السلسلة إلا أنها تعد شاهدا على الاهتمام بالكتابة للطفل من قبل المؤسسات الثقافية؛ كما أصدرت الجامعة دراسات نقدية عديدة في أدب الطفل. وتقوم رابطة الأدب الإسلامي العالمية بدور ملحوظ كذلك في تشجيع التأليف للطفل والاهتمام بنقد أدب الطفل؛ وتحديد هوية أدب الطفل الإسلامية المتفردة. و من مظاهر اهتمام الرابطة بأدب الطفل تشكيل لجنة به ضمن لجانها الست الأساسية؛ كما حظي أدب الطفل بنصيب جيد من إصداراتها في جانبي الكتابات الإبداعية والدراسات النقدية. و من أنشطة الرابطة الخاصة بأدب الطفل عقد ندوة دولية تحت عنوان " منهج الأدب الإسلامي في أدب الأطفال " في الفترة من ١ – ٣ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ١–٣ مارس ٢٠٠٦م.

وقد أثر هذا النشاط إيجابياً على انتشار كتاب الطفل وزاد من الوعي بأهمية أدب الطفل، واستجابة لهذا الوعي وفرت المكتبات التجارية للطفل ما يبتغيه من المطبوعات التي تفاوتت في جودة مضمونها وإخراجها، وأصبح الطفل يمثل شريحة هامة من شرائح القراء. فانفتح المجال أمام الطفل ليطلع على ما يكتب له في البلاد العربية حيث وفرت المكتبات التجارية إصدارات لدور نشر ومؤلفين عرب من خارج السعودية مثل مصر ولبنان والأردن والكويت ،كما جعلت الكتب المترجمة عن ثقافات أخرى في متناول يده؛ فاتسعت خيارات

انتقاء الكتاب أمام الطفل والقائمين على تربيته ؛ وكان لذلك دوره في تبادل الخبرات بين المؤلفين ودور النشر من ناحية ، و في دفع عجلة تطور أدب الطفل في المملكة من ناحية أخرى . و ما معارض الكتب التي تقام على المستوى الحكومي والخاص والتي تخصص جناحا خاصا لكتاب الطفل إلا دليلا على المكانة الجديدة التي حظي بها أدب الطفل في المملكة .

وتعتبر مكتبة الطفل العامة مرتكزاً هاماً في إثراء ثقافته ، وتسهم بدور جوهري في توفير الأدب له وجعله في متناول يد جميع الأطفال . فالمكتبة توفر الكتب المناسبة للطفل ؛ وتعمل على إيجاد البيئة الملائمة لتوثيق صلة الطفل بالكتاب وتحقيق استفادته منه . وعلى الرغم من محدودية عدد المكتبات العامة في المملكة ، إلا أن من الأمثلة المشرفة للمكتبات العامة مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض التي تأسست عام ١٤٠٧هـ ثم أنشئ بها قسم خاص بالطفل ؛ واستقل ليصبح مكتبة قائمة بذاتها عام ١٤١٢هـ . و بالإضافة للخدمات المكتبية المعروفة ، فإن المكتبة تقدم موارد ووسائل وأنشطة تعليمية وترفيهية تسهم في جعل تجربة التعرف على الأدب ممتعة وغنية . وتقام بالمملكة فعاليات خاصة بالطفل مثل برامج تشجيع القراءة ؛ ومسابقات ثقافية ونشاط مسرحي . ويعد " نادي كتاب الطفل " من أبرز أنشطة المكتبة التي أسهمت في إيصال الكتاب المناسب للطفل السعودي دورياً عبر البريد في مقابل رسوم رمزية .

كل هذه العوامل مجتمعة أسهمت في تشكيل أدب الطفل في السعودية وعملت على صياغة ملامحه وتحديد هوية مميزة له . فكيف نشأ أدب الطفل و ما بداياته؟

لمحة تاريخية عن تطور أدب الطفل في المملكة :

يعد أدب الطفل من الآداب الحديثة في المملكة العربية السعودية ؛ إذ كانت بداياته في الستينات الميلادية من القرن العشرين . وقد كانت الانطلاقة قوية وإن لم تتسم بالثبات ، حيث تعثرت في بداياتها و اعترى مسيرتها فترات ركود متكررة ؛ لكن أدب الطفل السعودي نهض وسار بخطى واثقة نحو التطور والتقدم . ويمكن تقسيم تاريخ هذا الأدب إلى عدة مراحل : مرحلة البدايات ، مرحلة الازدهار ، المرحلة الحالية .

أولا : مرحلة البدايات

ترى د. هدى باطويل ، و هي أول من أرخ لحركة تطور أدب الطفل في المملكة ، أن بداية أدب الطفل كانت في شكل دوريات مخصصة للطفل أخذت شكل مجلة الطفل والزاوية المخصصة له في الصحف اليومية (باطويل : ٢٤٦-٢٥٣ ؛ ٢٧١-٢٨١) ، بينما يرى آخرون أن تاريخ ظهور القصة المفردة في كتاب قد تزامن مع صدور أول مجلة للطفل وبذلك يكون أدب الطفل في السعودية ظهر في شكلين هما المجلة والقصة المفردة في كتاب (الجزائري :٥٣). ولحسم هذا الاختلاف نرى أن لا تعارض بين الرأيين ؛ فمن الطبيعي أن تحقق مجلة الطفل بأعدادها المتكررة الصدور انتشاراً أكبر من سلسلة قصصية واحدة . ولهذا يمكن اعتبار صدور مجلة الروضة في ١٣٧٩/٣/١٤هـ الموافق ١٩٥٩/٩/١٧م التي أسسها الشاعر طاهر زمخشري في ١٣٧٩/٣/١٤الموافق ١٩٥٩/٩/١٧م ؛ اللبنة الأولى

لأدب الطفل في المملكة العربية السعودية (باطويل : ٢٤٦) . ويلاحظ المتتبع لتاريخ المجلة أنها توقفت عن الصدور في ١٣٧٩/١١/١٧هـ الموافق ١٩٦٠/٥/١٢م بعد العدد السابع والعشرين ، نتيجة لضعف الإمكانات المادية وضعف الإقبال عليها . (٥)

عادت الحياة إلى أدب الطفل في شكل صفحات أسبوعية في الدوريات السعودية استجابة لدعوة اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة إلى الاهتمام بالإعلام المطبوع للطفل عن طريق مطالبة وزارة الإعلام بتكليف المؤسسات الصحفية المحلية بتخصيص مساحة تعنى بشؤون الطفل (إبراهيم والأحمد : ٣٦). فوجهت الصحف اليومية مثل جريدة المدينة ، البلاد ، الجزيرة ، الرياض و عكاظ اهتماماً بشريحة الأطفال عبر صفحاتها . كما خصصت مجلة اليمامة للطفل ملاحق أو زوايا أسبوعية ؛و لكن هذا الرافد لأدب الطفل تعثر هو الأخر و لم يستمر لفترات طويلة في تلك الحقبة الزمنية (باطويل : ٢٥٠_ ٢٥١).

في ١٣٩٧/٥/٢هـ الموافق ١٩٧٧/٤/٢٠ أصدرت مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر مجلة موجهة للطفل هي مجلة حسن ، وكان رئيس تحريرها الكاتب يعقوب اسحق ؛ ولكنها لاقت نفس المصير الذي لاقته سابقتها ، إذ توقفت عن الصدور قبل إكمالها عامها الرابع (عبد الحميد /إسحاق :٧٧). أما مجلة الشبل الصادرة عن مؤسسة الطفولة للتسويق والتي ظهر العدد الأول منها في ٢١٤٠٣/١ ه الموافق ١٩٨٢/١١/١٦م فلا تزال تصدر مرتين شهرياً .. كما صدرت مجلة باسم عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ابتداء من ١٤٠٨/١/٢٢ ه الموافق ١٩٨٧/٩/١٥م ،واستمرت بجناح إلى يومنا هذا .

و مع تزايد الاهتمام بالطفل بدأت قصة الطفل المفردة في كتاب والمجموعات القصصية في الظهور ؛ وكما ورد سابقاً نلاحظ تزامن ظهور أدب الطفل مفرداً في كتب مع أول مجلة للطفل ،إذ أصدرت مكتبة الأطفال النموذجية في جدة سلسلة قصصية قام بتأليفها الأستاذان عبد الله بوقس ومحمد زكي عوض (الجزائري :٥٣). إلا أن فترة ركود طويلة اعترت إنتاج كتاب الطفل في هذه المرحلة (للتعرف على أسباب هذا الركود ، انظر الجزائري ٥٤-٥٦). فلم يرصد الباحثون قصة لاحقة لباكورة قصص الأطفال المفردة في كتاب حتى عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، عندما أصدرت مكتبة التعاون الثقافي بالأحساء خمس قصص للطفل طبعت في بيروت (باطويل :٢٥٤) .وفي عام ١٣٩٩هـ نشرت دار أشبال العرب مجموعة قصصية للكتاب عبد الكريم الجهيمان طبعت في بيروت أيضاً وأعيد نشرها عام ١٤٠٤هـ (باطويل : ٢٥٤). وصدر في نفس العام مجموعة أخرى عن الدار السعودية للنشر والتوزيع ألفها الكاتب حسين حسون بلغ عدد قصصها أربع قصص (باطويل : ٢٥٥) .

بدأت حركة التأليف للطفل في المملكة ابتداءً من العام ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م تدخل مرحلة جديدة لتسهم في تشكيل ملامح هذا الفن وتدعم مسيرته الواعد ؛ وقد ورد في الجزء السابق من هذه الدراسة أهم العوامل التي دفعت بالأدب السعودي للأمام ؛فإن هذا التاريخ يعد "بداية فترة الازدهار الحقيقي لأدب الأطفال المطبوع "في المملكة (باطويل :٤٧٩). ومما أسهم في تشكيل هذا المنعطف الهام ،إقبال عدد من الكتاب السعوديين والعرب المقيمين في السعودية على الكتابة للطفل ، ويعد إنتاج هذه الفترة غزيرا في الكم ولكنه متواضعاً في مستواه الفني كما سيتضح في الجزء التالي من الدراسة .

من ناحية أخرى ، أظهرت الدراسات المسحية للإنتاج الأدبي في هذه المرحلة تأخر تطور شعر الطفل السعودي عن القصة ، وتعد بداية هذا الشكل الأدبي هي انطلاقة مجلة الشبل في ١٤٠٣هـ (الغامدي :٨٠)، حيث استقطب رئيس تحريرها الأستاذ عبد الرحمن الرويشد شعراء المملكة للكتابة للطفل وخصصت مساحة له ضمن زواياها . ويشكل عام ١٤٠٧هـ منعطفاً هاماً في تاريخ تطور شعر الطفل السعودي ، حيث صدر أول ديوان موجه للطفل للشاعر إبراهيم أبو عبارة تحت عنوان شدو الطفولة : من أناشيد الأطفال ، قدم له الشيخ عبد العزيز بن باز . وقد خرج هذا الديوان في طبعة أنيقة تحتوي على واحد وعشرين نشيداً إسلامياً تصاحبها رسوم ذات ألوان زاهية . و منذ عام ١٤١٥هـ ازدهر شعر الطفل في المملكة وتوالت الدواوين الخاصة بالطفل ؛وظهرت فيها أشكال متنوعة لشعر الطفل مثل القصة الشعرية ، النشيد الترفيهي ، التهويدة ،الألغاز .

أما بالنسبة لمسرح الطفل فهو الأقل حظا بين الأجناس الأدبية المقدمة للطفل في السعودية؛ فقد ارتبط منذ نشأته بالمسرح المدرسي والمناسبات الوطنية والدينية فقط . ويعد الشاعر هاني المدني من أوائل من كتبوا لمسرح الطفل ؛ واختار شكل الأوبريت ونفذ عدة أعمال منها شجرة الخير التي قدمت في الحفل الختامي لمدارس المنطقة الغربية عام ١٤٠٤هـ . كما يبرز اسم هاني فيروزي عند الإشارة إلى بدايات مسرح الطفل بالمملكة كأحد رواد هذا الفن . وقد كان لمسابقة التأليف المسرحي التي أعلنتها إدارة الشؤون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب في عام ١٤٠٣هـ واستمرت تعقد سنوياً أثراً كبيراً في تشجيع الكتابة المسرحية للطفل (باطويل : ٢٩٥-٢٦٠) .

السمات الفنية لأدب الطفل في مرحلة البدايات :

توصلت الدراسات المسحية والنقدية التي تناولت إنتاج هذه المرحلة بالتحليل والتقويم ، إلى سمات مميزة لأدب الطفل السعودي في بداياته (١٤٠٠-١٤١٠هـ):فقد توصلت الباحثة د. آمال الجزائري في بحثها الذي تقدمت به لنيل درجة الماجستير تحت عنوان "قصص الأطفال في المملكة العربية السعودية من ١٣٧٩ إلى ١٤١٠هـ " (انظر الخاتمة ، ص ص ٢٦٤-٢٦٧). إلى سمات قصص الأطفال في المملكة سواء المفردة في كتب أو المدرجة في الدوريات ؛ يمكن إجمالها هنا في عدة نقاط :

- تعد الفترة من ١٣٧٩-١٣٩٧هـ مرحلة بحث أدب الطفل في المملكة عن الهوية ، أما الفترة من ١٣٩٧-١٤١٠هـ فهي مرحلة تأصيل الهوية ؛ وقد رصدت الباحثة اثنتين وسنتين ومائتين قصة مستقلة بالإضافة إلى قصص الدوريات .
- قلة الكتاب السعوديين بمقارنتهم بالكتاب غير السعوديين الذين ساهموا في إثراء أدب الطفل في تلك الفترة ، فقد كانت نسبة السعوديين ١٠ إلى ٣٤ كاتب غير سعودي .
- قلة إسهام المرأة في الكتابة للطفل حيث لم تكتشف دراسة الجزائري سوى عن كاتبة واحدة ، هي الأستاذة فريدة فارسي ، في مقابل تسعة كتاب .

- أما من ناحية المضمون ، فقد تنوعت مصادر الأدب لتشمل القرآن الكريم ، الحديث الشريف ، أخبار الأمم السابقة ، سيرة الأنبياء والصحابة ، تراث الأدب العربي والآداب الأخرى .
- تفاوت المستوى الفني للقصص مابين الجيد والمتواضع ، وارتفع مستوى أسلوب القصص عموماً عن المستوى الإدراكي للطفل ، وتعقدت أحداثها مما أثر سلباً على عنصر التشويق والمتعة فيها . أما شخصيات القصص في تلك الفترة فقد كانت حسب دراسة الجزائري ، من أهم عوامل نجاحها ؛ حيث جاءت متنوعة ، واضحة ومفعمة بالحياة .
- عدم الاهتمام بتحديد المرحلة العمرية التي توجه لها القصة .
- أما ما يختص بموضوعات القصص ، فقد تبين اهتمام الكتاب بتضمين نتاجهم القيم الأساسية التي يعمل المربون على غرسها في نفوس الأطفال ؛ فاتسم الأدب بسمة تهذيبية واضحة غلب عليها الاهتمام بالقيم الاجتماعية والروحية والذاتية و الخلقية ؛ بينما ندر الاهتمام بالقيم الجمالية .
- ظهر اتجاه واضح نحو القصص الاجتماعية والدينية والخيالية ؛ و في المقابل انحسر الاهتمام بالقصص العلمية ، قصص الخيال العلمي والقصص البوليسية .
- يظهر في أدب هذه المرحلة اتجاه سائد لدى بعض الكتاب نحو أسلوب الوعظ و الإرشاد المباشر ؛ مما يؤثر سلباً على قيمة الأعمال الفنية و على تقبل الأطفال لها .
- خلت غالبية قصص هذه المرحلة من الرسوم التي هي عنصر أساس في كتاب الطفل ؛ أما ما احتوى منها على رسوم فقد ظهر فيها ضعف المستوى الفني لتلك الرسوم وعدم أدائها لوظيفتها في القصة .

ومن أبرز الكتاب والأدباء السعوديين الذين اهتموا بالكتابة الطفل في هذه المرحلة : يعقوب إسحق ، عبد الكريم الجهيمان ، علوي طه الصافي ، عزيز ضياء ، و فريدة فارسي .

ثانيا : مرحلة الازدهار

في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري ، دخل أدب الطفل في المملكة مرحلة جديدة . وقد تناولت هذه المرحلة بالدراسة الباحثة وفاء السبيل التي أكملت مشوار توثيق قصص الأطفال في المملكة وتقويمها في بحثها المعنون "قصص الأطفال في الأدب السعودي (١٤١٠هـ -١٤٢٠هـ): دراسة موضوعية وفنية " والتي نالت عليه درجة الماجستير في الأدب سنة ١٤٢١هـ وبمقارنة نتائج هذه الدراسة بسابقتها تخلص إلى أهم عناصر التجديد والتغيير في أدب الطفل السعودي وهي:

- الازدياد الملحوظ في عدد الكتاب السعوديين .
- اعتماد كتاب هذه المرحلة على خيالهم كمصدر واضح لعدد كبير من القصص ، بالإضافة إلى الأدب المترجم ، البيئة ، التراث ، الحديث الشريف من بين مصادر أخرى متنوعة .

- فاقت القصص الواقعية الاجتماعية أنواع القصص الأخرى كماً ، تليها القصة الخيالية، فالشعبية فالدينية فقصص السيرة .
- اعتلت القيم التربوية والإيمانية قائمة القيم التي تبثها قصة الطفل السعودية .
- تميزت هذه المرحلة باهتمام كتاب أدب الطفل بالقيم الجمالية التي أهملها سابقوهم .
- لاحظت السبيل أن أكثر القصص الصادرة في هذه الفترة تقع ضمن قالب القصة القصيرة المصورة أما القصة الصامتة فمعدومة ، وقالب الرواية والقصة المطولة محدود جداً .
- أما من حيث السمات المميزة لعناصر القصة الفنية فعلى الرغم من التنوع في الشخصيات ووجود شخصيات مرسومة بإتقان إلا أنَّ الباحثة رصدت عدة عيوب تتكرر في رسم شخصيات القصص منها عدم الدقة في رسم الشخصية ، المثالية المبالغ فيها ، ثبات سمات البطل في عدد من القصص .
- تظهر دراسة السمات الفنية للقصة أيضاً تراوح الحبكة في القصص من قوية متماسكة إلى ضعيفة ، وكذلك هي الحال بالنسبة لعنصر الحوار الذي اختلف مستواه من جيد إلى مفتعل .
- أما الأسلوب في أدب الطفل السعودي في مرحلته الثانية ، فقد عني فيه باختيار الألفاظ وان كانت مشكلة استخدام ألفاظ جديدة على الطفل أو غير مناسبة لمستواه الإدراكي لا زالت ملموسة في نتاج هذه المرحلة أيضاً ؛ كما برز للباحثة قلة اهتمام الكتاب بالجمل وطولها .
- ظهر الاهتمام بالصورة كعنصر من عناصر قصة الطفل وتنوعت الأساليب الفنية المستخدمة فيها وقد تفاوت مستوى الصور مابين الجيد إلى المتوسط .
- ترى السبيل أن تطور الكتابة للطفل في هذه المرحلة ظهر في كم الإنتاج الموجه للطفل أكثر منه في نوعه .

ويلاحظ المتتبع لكتب الأطفال في الفترة في هذه المرحلة ، بروز اسم الكاتبة السعودية وتميز إبداعها للطفل ؛ فالمرأة بحكم قربها من الطفل ورعايتها له تكون الأكثر معرفة بحاجاته واهتماماته ورغباته مما يمكنها من التعبير عن تلك الحاجات والرغبات . و من أوائل من كتبن للطفل الكاتبة هند خليفة التي تتميز بتنوع قالب كتاباتها للطفل وبأسلوبها السلس وإجادتها لقصة الحيوان الأخلاقية . و من قصصها جوهرة بالعمل تلمع (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) . وللقاصة هلا بنت خالد تجربة مميزة حيث تمارس الكتابة والرسم للطفل وتظهر تمكناً من كلا الفنين . والفنانة تجيد مخاطبة طفل المرحلة المبكرة كما في قصة هجوم قراصنة السوس (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). و من الكاتبات السعوديات اللائي كتبن لنفس المرحلة وفاء السبيل ، التي لامست روح الطفولة في أعمالها التي منها أمي : ماذا لو ... ؟ (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م). وقد حرصت الكاتبة السعودية على توجيه بعض إنتاجها للطفل السعودي والعربي خارج نطاق العالم العربي في محاولة لسد حاجة الطفل العربي لقصص بالعربية ، و هي خطوة جيدة للتعريف بأدب الطفل السعودي والوصول به إلى العالمية . فبالإضافة إلى هلا

بنت خالد ، نجد القاصتين مها الفيصل وسميرة زيدان كتبتا النصوص باللغتين العربية والإنجليزية ن وهي تجربة جديرة الدراسة .

ويعكس أدب الطفل في السعودية فهماً للطفولة ومعالجة نفسية واعية بقضاياها ؛ فنجد على سبيل المثال ، في قصص الكاتب سعد الدوسري ، و هو من أبرز كتاب قصة الطفل ، موضوعات مختلفة تتعلق في مجملها بالصحة استقاها الكاتب من واقع عمله كإداري في أحد المستشفيات بالرياض . و من الموضوعات الجديدة على أدب الطفل التي تناولها الكاتب موضوع الإعاقة والتعامل معها ، ففي قصة الحورية والكرسي (١٩٩٤)، يوظف الدوسري الخيال ليبث الأمل في نفس الطفل المعاق من ناحية ، ويحث أقرانه على التعامل الجيد معه من ناحية أخرى في أسلوب يدعو إلى تفاعل القارئ مع القصة دون اللجوء للوعظ أو الإرشاد . و في قصة أخرى له ، وحش المسرحية (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، نجده يمزج بين القصة والشعر والمسرحية ليخرج بتوليفة جميلة يخاطب بها الطفل ويلامس وجدانه ليقنعه دون استخدام أسلوب الوعظ بأهمية تنظيف أسنانه يومياً .

شعر الأطفال في السعودية :

يعتبر الشعر بأشكاله المختلفة جنسا أدبياً محببا إلى الطفل لأنه يعتمد على الايقاع ويسهل الحركة فينشر المرح ويوقظ الإحساس ، ويغذي العاطفة (الهيتي :٢٠٧) والطفل بطبيعته يميل إلى الكلام الموزون وتشجيه موسيقى الكلمات وتحرك مشاعره . وقد التفت إليه أدباء المملكة وقدموا للطفل نماذج مختلفة منه تناولت نشأتها ومستواها الفني الباحثة منى الغامدي في بحثها المرسوم "شعر الأطفال في الأدب السعودي : دراسة فنية تحليلية " (١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م) . وقد لاحظت الباحثة أن التأليف الشعري للأطفال في السعودية قد تأخر مقارنة بالدول العربية الأخرى (الغامدي :٧٧) ؛كما تؤرخ لبواكير التجارب شعرية التي تمخض عنها نشوء شعر الأطفال في السعودية . فالبدايات كانت في نماذج لا تراعي سمات الطفولة و إنما تتخذ من الطفل موضوعاً لها . وإن خاطب الشعر آنذاك فئات عمرية غير البالغين ، خرج في صورة ما يطلق عليه د.عبد الله الحامد "شعر التربية والنهضة " (الغامدي :٦٤)و الموجه للشباب ؛وكما يدل مسماه فهو شعر تربوي يدعو إلى العلم والأخلاق وحب الوطن . وعلى الرغم من أن هذا النوع من الشعر لا يخاطب الطفولة و لا يتناسب مع سماتها ، إلا أننا نجد نماذج منه في مجلات الأطفال وصحفهم في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري . و من الشعراء الذين غذوا هذا الاتجاه :أحمد غزاوي ، أحمد عبد الغفور عطار ، وعبد الكريم الجهيمان .

تحدد الغامدي البداية الفعلية لشعر الأطفال السعودي بمفهومه الصحيح بتاريخ صدور مجلة الشبل ، أي في عام ١٤٠٣هـ، حيث استقطب رئيس تحريرها الأستاذ عبد الرحمن الرويشد الشعراء السعوديين للكتابة في المجلة ، وكان أبرزهم : إبراهيم أبو عباة ، عبدالله الخالد ، سعد البواردي ، معيض البخيتان ، عبد الرحمن العشماوي ، ومحمد العقيلي . ويعد ديوان شدو الطفولة الصادر عام ١٤٠٧هـ للشاعر إبراهيم أبو عباة أول ديوان شعر للأطفال

(الغامدي : ٨٥). توالت بعده عدة دوواين في تلك الفترة أهمها ربيع الأمل (١٤١٦هـ)للشاعر محمد سعيد البريكي ، وديوان أناشيد الطفولة (١٤١٨هـ) للشاعر عبد الله الخالد راعى فيهما الشاعران مرحلة الطفولة موضوعاً وصياغة . أما ما رصدته الغامدي من أناشيد للأطفال قدمتها الإذاعة السعودية أو نشرتها مجلة الروضة ومجلة حسن وغلب عليه استخدام اللغة العامية والدارجة ، فهي في رأي الباحثة بواكير أدت إلى ظهور شعر موجه للطفل.

وقد خلصت الغامدي من دراستها إلى سمات فنية وموضوعية عامة لشعر الأطفال السعودي منذ نشأته حتى عام ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م (ص ص ٦٠٢-٦١١) ،يمكن تلخيصها فيما يلي :

- غالباً ما يفوق مستوى الصياغة الفنية لشعر الطفل قدرته اللغوية : فرغم صياغة كثير من النصوص على لسان الطفل ،إلا أن الجمل غالباً ما تكون طويلة تفتقر إلى الروابط وتستخدم تراكيب يصعب على الطفل فهمها . وهذا واضح في النصوص التي اختيرت لمقررات الأناشيد في المرحلة الابتدائية .
- صعوبة اللغة وكثرة المعاني المجردة مما يؤدي إلى صعوبة فهم الطفل للقصائد .
- يتجه جل الشعراء السعوديين إلى استخدام بحر الرجز في أناشيدهم .
- كثير من النماذج الشعرية لا تخاطب اهتمامات الطفل وميوله وحاجاته .
- شعر الأطفال السعودي غني بمضمونه القيمي و إن كانت القيم الأخلاقية والاجتماعية أبرزها .
- عناوين النصوص والدواوين في مجملها لا تجذب الطفل .
- يلاحظ أحياناً مخالفة قواعد اللغة واستخدام العامية والتعامل الجاف مع الألفاظ الجديدة على قاموس الطفل .
- وكما غابت الأدبية السعودية عن الكتابة النثرية للطفل في مراحل بدايات أدب الطفل في المملكة ، فقد غابت كذلك عن التأليف الشعري في مراحله المختلفة .
- من الملاحظ كذلك ندرة النصوص الشعرية الموجهة للمرحلة المبكرة من الطفولة .
- اهتمام الشعراء بموسيقى النص الداخلية وإغفالهم للإيقاع الخارجي .
- ظهرت نماذج عديدة في الشعر السعودي للشعر الغنائي والتمثيلي .

وللتعرف على شعر الأطفال السعودي ، أورد هنا نموذجاً للشاعر عبد الله الخالد من ديوان أناشيد الطفولة ؛ الأنشودة بعنوان "الدجاجة والأرنب " و هي موجهة للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة ؛ ويتضح فيها موضوع النص الذي يدور حول اهتمامات الطفل وميله إلى المحسوس من العالم المحيط به ، كما نلاحظ مناسبة اللغة لمستوى الطفل اللغوي والإدراكي:

دجاجتي جميلة وبيضها كثير
وريشها ملون وذيلها قصير
لها فراخ تسعة وعاشر صغير
يعيش معها أرنب صديقها الحميم
يحنو على صغارها كوالد حميم
ان غادرت مكانها يبقى به مقيم

ثالثا : واقع الطفل السعودي اليوم :

شهد العقد الحالي طفرة نوعية ملحوظة في أدب الطفل في المملكة تشير إلى أنه يسير في المسار الصحيح إلى أعتاب عصره الذهبي ؛ حيث أصبحت له هوية واضحة في الأدب السعودي، وحفر موقعه على خريطة الثقافة المحلية بعد أن تأصلت وظيفته في وعي المؤسسات القائمة على الطفل وعند الأفراد . فحقق تداولاً بين أطفال المجتمع باختلاف شرائحه ؛ وأحرز تقدماً ملحوظاً في شكله ووسائطه باستخدام أحدث التقنيات التي من شأنها جذب الطفل للأدب ؛ ومواكبة دول العالم المتقدمة في تقديم أدب جيد يسير من حسن إلى أحسن ؛ ويبشر بمستقبل أفضل بإذن الله .

ففي موضوعاته ، تحول الأدب من المنحى التعليمي الوعظي إلى معالجة قضايا الطفولة، وانتقل من تصوير ما يجب أن يكون عليه الطفل كما يتصوره الكبار إلى عالم الطفل نفسه ليناقش مخاوفه وحاجاته واهتماماته ، ففي المجموعة القصصية حكايات أمونة التي حازت على جائزة أندية فتيات الشارقة لإبداعات المرأة العربية في الأدب لعام ٢٠٠٠ ،تعالج الكاتبة وفاء السبيل قضايا عديدة خاصة بالطفولة في مراحلها المبكرة مثل :اليوم الأول في المدرسة ، ضياع الطفل في الأماكن العامة ،صراع الإخوة ، عناد الأطفال ، حب التملك وغيرها من الموضوعات التي تصاحب الطفولة وتحتاج إلى تفهم الوالدين والتعامل معها بحكمة كما يظهر من تصرفات والدة أمونة .

و في قصة خذها يا عيد (٢٠٠٧)،تعالج الكاتبة أروى خميس محاولة الطفل فهم العالم من حوله من خلال مناسبة هامة في حياة الطفل هي العيد ، فتقدم تفسيرها لماهية العيد عبر ارتباطات حسية مثل صوت التكبير ، الملابس الجديدة ، العيدية ، الأطعمة الخاصة ؛ لذا توضح القصة معنى هذه المناسبة عبر دلالاتها العقدية والإجتماعية والنفسية . و من عناصر التجديد في هذه القصة ، إصدار صندوق مع الكتاب يحوي قرصاً مدمجاً عليه تسجيل صوتي لتكبيرات العيد وأغاني العيد ، بطاقات معايدة ، ظرف العيدية ، وملصقات ؛مما يجعل موضوع القصة و شخوصها تجربة ممتعة وثرية لا يمكن نسيانها . ويمكن إيجاز سمات أدب الطفل السعودي المعاصر فيما يلي :

- توافر نماذج لأدب موجه للطفل ذي مستوى جيد في مضمونه و في شكله ، مستوف للنواحي الفنية والتربوية .
- تنوع الموضوعات واتساع الأهداف التي يسعى الكاتب السعودي لتحقيقها من خلال أدب الطفل : مخاطبة الطفل عبر المشاعر التي يحسها ، وتلبية حاجاته ، والنظر إلى اهتماماته .
- التطرق لموضوعات إنسانية عامة، ومناقشة موضوعات ملحة في تنشئة الطفل مثل التفاعل الإنساني ، الوعي البيئي ، الإعاقة .
- الخروج عن إطار الأدب الوعظي الإرشادي الذي يعتمد المباشرة في الأسلوب والسطحية في الطرح .

- توظيف تقنيات الطباعة الحديثة ومراعاة المستوى الفني للرسوم والإخراج الجيد للكتاب وهذا يشير إلى نقلة نوعية كبيرة في شكل كتاب الطفل في السعودية .
- بدأ الاهتمام مؤخراً يجعل الأدب جزءا من حياة الطفل فلا تنتهي علاقة الطفل بالأنشودة أو القصة بعد انتهاء سماعها أو قراءتها و إنما يتفاعل الطفل مع شخوصها وأحداثها ومحتواها عبر اللعبة والأنشطة المتعددة المتصلة بمضمون القصة .
- تقديم الأدب عبر وسائط محببة للطفل مثل الألعاب وبرامج الحاسب الآلي التي تتيح للطفل التفاعل الأمثل مع الأدب . وهذا من شانه إيصال الأدب إلى الطفل بطريقة مشوقة تخرج من حيز الورق وتطوع الحركة والصوت والإخراج لتجعل قصص الأطفال وأناشيدهم تنافس المثيرات التقنية المتعددة في حياة الطفل ؛ مما يزيد من إقبال الطفل على الأدب والتفاعل معه .
- كما خدم الكمبيوتر والإنترنت أدب الطفل عن طريق المواقع المخصصة للأطفال والمجلات الإلكترونية العامة والشخصية والتي تخصص زوايا ثابتة للقصة والقصيدة يقرؤها الطفل أو يستمع إليها ؛ وقد تتاح له فرصة كتابة تعليق عليها أو الاشتراك في مسابقة للكتابة وبذلك فتح المجال لإبداعات الطفل نفسه .
- بدأت عملية توثيق جادة للكتاب السعودي الذي ينشر داخل المملكة منذ إنشاء مكتبة الملك فهد الوطنية مما يسهم في الحفاظ على الإنتاج الفكري ويسهل الوصول إليه ودراسته ، و إن لم تكن المكتبة خاصة بتوثيق أدب الطفل إلا أنها بلا شك تسهم في رصد مسيرة أدب الطفل السعودي .
- وصول الكتاب لعدد كبير من الأطفال عن طريق موز عين ومكتبات تجارية منتشرة في مدن المملكة .
- تداول كتب الأطفال من خلال المكتبات المدرسية والمكتبات العامة والأندية الثقافية والأدبية .
- نشاط الحركة الثقافية الخاصة بالكتابة للطفل والدراسة الأكاديمية لأدبه ؛ حيث تعقد ورش عمل ومحاضرات وندوات من شأنها التعريف بالسمات النفسية لمراحل نمو الطفل وعناصر العمل الفني الموجه له وأحدث أساليب إخراج الكتب ؛ وقد كان آخر هذه الندوات "كيف نقدم المدينة المنورة للطفل المسلم "التي نظمها مركز بحوث ودراسات المدينة بالتعاون مع نادي المدينة الأدبي في ١١شوال ١٤٢٧هـ الموافق نوفمبر ٢٠٠٦ .
- ازدياد عدد الدراسات النقدية والأكاديمية في مجال أدب الطفل ونقده .
- الاهتمام بأعمال الموهوبين و الموهوبات من الأطفال في كتابة وتنفيذ و إلقاء القصص . والتنظيم لنشر المتميز من أعمالهم ، وإشراكهم في الفعاليات الخاصة بأدب الطفل .
- الاهتمام بالأنشطة والفعاليات التي من شأنها جذب الطفل للكتاب و للأدب مثل معارض الكتاب ، النشاط المسرحي ، جمعيات وبرامج القراءة .
- عقد مسابقات في الكتابة الإبداعية للطفل مثل التي أطلقها لجنة ثقافة الطفل بوزارة الثقافة والإعلام مؤخراً .

- الفعاليات الخارجية للتعريف بالأدب السعودي والبرامج المقدمة للطفل والتي تقوم عليها الوزارة .
- التعريف بكتاب الطفل و إنتاجهم عبر دليل الكتاب والرسامين الذي أشرفت عليه لجنة ثقافة الطفل و من المقرر صدوره قريباً .
- لا شك أن الانفتاح المعلوماتي عبر شبكات الاتصال أدى إلى اطلاع الكتاب على روائع الأدب العالمي قديمة وحديثه ، و كذلك التعرف على كيفية تفعيل الأدب في المدرسة والمنزل عبر الأنشطة والألعاب . و هي في الوقت ذاته تعمل على التعريف بالأدب السعودي المقدم للطفل .

من هذا العرض السريع ، تتضح النقلة الكبيرة التي حققها أدب الطفل السعودي ليحقق أغراضه ويسهم في تنشئة جيل المستقبل . فمسيرة هذا الأدب والنماذج المتوفرة حالياً تدل على أن أدب الطفل السعودي له هويته المميزة ، و أنه أثبت حضوره في ثقافة الطفل العربي . ولا يعني هذا اكتمال دورة تطور أدب الطفل وتوقفه عند ما حققه من نجاح ؛ فلا زلنا في حاجة إلى المزيد من الأدب الجيد الذي يخاطب الطفولة بلغتها واهتماماتها ؛ ومازلنا بحاجة إلى أن يصل هذا الأدب إلى أيدي أطفالنا في كل ركن من أركان البلاد و إلى كل شريحة من سكانه . و هذا عمل يتطلب تضافر الجهود الفردية والمؤسساتية لتوفير الكتاب المناسب ، وجعله في متناول أطفالنا في البيت والمدرسة والمكتبة العامة . وعلى الكاتب السعودي توجيه الاهتمام إلى مراحل عمرية مغفلة مثل الطفولة المبكرة ، والمراهقة . كما ترتكز مسؤولية القائمين على التعليم وتطوير المناهج المدرسية العمل على دور الأدب ضمن المنهاج المدرسي ، وضمن برامج مدرسة في القراءة الحرة ، فأدب الطفل السعودي لن يتوقف عند هذا الانجاز بل سيستمر – بإذن الله –في المضي قدماً إلى مزيد من التميز .

---

* د. صباح عبدالكريم عيسوي .. دكتوراة في أدب الطفل . وهي أول رسالة دكتوراة في هذا المجال بالمملكة العربية السعودية . باحثة ، ومحاضرة ، عضو جمعيات علمية داخل البلاد وخارجها . عضو هيئة تدريس بجامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية .

الهوامش

(١) من الدراسات والبحوث التي تتناول دور القصة كوسيلة من وسائل التربية .. د.أحمد كنعان أدب الأطفال والقيم التربوية (١٩٩٥م) وكذلك البحوث المدرجة في وقائع الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٥م والتي عقدت بالقاهرة تحت عنوان القيم التربوية في ثقافة الطفل .

(٢) للاطلاع على بنود الخطة الخاصة بالطفل ، يمكن الاطلاع على دراسة إبراهيم والأحمد في قائمة المراجع ص ص ٤٨-٥٠ .

(٣) من أمثلة هذه البحوث ، دراسة أعدتها الباحثة تحت عنوان " القصة في منهج رياض الأطفال بالمملكة العربية السعودية : الواقع والمأمول " شاركت بها في ندوة "الطفولة المبكرة .. خصائصها و احتياجاتها " التي نظمتها اللجنة الوطنية للطفولة في ٢٦-٢٨شعبان ١٤٢٥هـ ١٠-١٢أكتوبر ٢٠٠٤م .

(٤) نشرت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية دراسة أعدها د.محمد الربيع ود. أحمد زلط بعنوان (أدب الطفل وثقافته وبحوثه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) عام ١٤١٨-١٩٩٨م رصدت فيه إصدارات الجامعة فيما يخص أدب الطفل والبحوث التي أشرفت عليها الجامعة في هذا المجال .

(٥) اختلف المحللون في تحديدهم لأسباب تعثر مجلة الطفل السعودي في مرحلة البدايات ، وقد قدم د. هاشم عبده هاشم ،دراسة علمية لتلك الأسباب في بحثه "عوامل توقف دوريات الأطفال السعودية : مجلة الروضة " .

المراجع

١) أبو الرضا ، سعد . النص الأدبي للأطفال .. أهدافه ومصادره وسماته : رؤية إسلامية . عمان :دار البشير ، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م .

٢) إبراهيم ؛ بكر محمد و محمد الأحمد الطفل في الصحافة اليومية السعودية . الرياض : دون ناشر ، قسم الإعلام –جامعة الملك سعود ،١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٣) باطويل ، هدى الإنتاج الفكري المطبوع للطفل في المملكة العربية السعودية : دراسة تحليلية . الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٤) الجزائري ، آمال " قصص الأطفال في المملكة العربية السعودية من ١٣٧٩هـ إلى ١٤١٠هـ " رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات بجدة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٥) الحلقة الدراسية الإقليمية . " قصص الأطفال والقيم التربوية في ثقافة الطفل " القيم التربوية في ثقافة الطفل .٣٠نوفمبر -٤ ديسمبر ١٩٨٥. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ص ص ٨٣-٩٩.

٦) الربيع ، محمد و أحمد زلط . أدب الطفل وثقافته وبحوثه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . سلسلة بحوث في ثقافة الطفل المسلم . الرياض : الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

٧) السبيل ، وفاء . قصص الأطفال في الأدب السعودي (١٤١٠-١٤٢٠هـ) : دراسة موضوعية وفنية . الرياض : النادي الأدبي بالرياض ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٨) سعيد ، محمود . أساسيات في أدب الطفل . الرياض : دار المعراج ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٩) شحاته ، حسن ، أدب الطفل العربي : دراسات وبحوث . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٠) عبد الحميد ، طارق . حوار مع الأستاذ يعقوب إسحاق . مجلة الإعلام و الإتصال . ع ٥٧ –ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق ٢ مايو ٢٠٠٣ م. ص ص : ٧٦-٧٩.

١١) عبد الكافي ، إسماعيل "أدب الأطفال في المملكة : إمكانات ذاتية وتأكيد هوية " . أحوال المعرفة . ع ٣٠ ،رجب ١٤٢٤هـ الموافق سبتمبر ٢٠٠٣ م . ص ص ٨٢-٨٥.

١٢) عبد الواحد ، عمر " حكايات المداد لعبده خال : قراءة نقدية " مجلة رؤى ، ع ٧ ، جمادى الأولى ١٤٢١هـ / أغسطس ٢٠٠٠ م . ص ص ٨٨-٩٥.

١٣) عيسوي ،صباح " القصة في منهج رياض الأطفال بالمملكة العربية السعودية : الواقع والمأمول " . بحث غير منشور قدم في ندوة " الطفولة المبكرة .. خصائصها واحتياجاتها " نظمتها اللجنة الوطنية للطفولة في ٢٦-٢٨شعبان ١٤٢٥هـ ١٠- ١٢ أكتوبر ٢٠٠٤ م.

١٤) الغامدي ، منى " شعر الأطفال في الأدب السعودي : دراسة تحليلية نقدية " . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب للبنات بالدمام ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

١٥) كنعان ، أحمد ، أدب الطفل والقيم التربوية . دمشق : دار الفكر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
١٦) نجيب ، أحمد ،أدب الطفل علم وفن . دراسات في أدب الأطفال . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
١٧) هاشم ، عبده هاشم ." عوامل توقف دوريات الأطفال السعودية : مجلة الروضة " . عالم الكتب . مج ٩،ع٣، محرم ١٤٠٩هـ ، أغسطس / آب ١٩٨٨م . ص ص ٣١٩-٣٣٤.
١٨) الهيتي ، هادي . أدب الطفل : فلسفته ، فنونه ، وسائطه . القاهرة : الدار المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
١٩) عبد الله الخالد . أناشيد الطفولة : قصائد للأطفال . الدمام : نادي المنطقة الشرقية الأدبي،١٤١٧هـ /١٩٩٦م.

المراجع الأجنبية

1) Bettelheim Bruno. The Uses of Enchantment : The Meaning and Importance of Fairy Tales, New York: Knopf, 1976.
2) Carlile, Vowery Dodd. Using Children's Literature, Grades 1 – 4. New York: Educational Impressions, 1991.
3) Lync-Brown, Carol and Carl Tomlinson. Essentials of Children's Literature. 3rd ed. Boston: Allyn & Bacon, 1999.
4) Norton, Donna. Through the Eyes of a Child : An Introduction to Children's Literature. Columbus: Merrill, 1983.

مَن معي ؟؟؟

حسن محمد حسن الزهراني *

مَن معي .؟.؟
من معي .؟.؟
إن (ليلى) بأرض (العراق)
التي باعها الخائنون
(وسِمسارها)
ما درى أن (خبزاً على رأسه تأكل الطيرُ منه) ..
فقولوا لِمن (يعصرُ الخمرَ)
في كفي للذئابْ
يُصَلّي عليهم صلاةَ الغيابْ
ويحثو الترابْ
بوجهِ السرابْ
ويهدي اليبابْ
لِجوع العُبابْ
ويعلم أنَّ الحقيقة
لم تكتمل بعدُ
ما لم أرَ
فوق (نَطْع) الندى مصرعي ...

* * * * *

نصفُ سمعي معي
وفمي مبضعي
هَا أنا أقطع الماءَ
من عاتق الريح
والريحَ من أضلع
الشمس
والشمس من كَاحِل
الليل
والليل من مُلتقى أدمعي ..

* * * * *

(يا سماء اقلعي)
(يا سماء اقلعي)
غرقت أرضنا بالقنابل
(والطفل) مات

(ومِقلاعهُ)
شدَّ حِنزير دبابة الغاصبين
وألقى بها في نجيع
العيون التي عمر النَّقعُ
أهدابها الشاخصات
بأضواء أقمارهم
وهي لمَّا تَزَلْ
في سراديب أوهامها البُهم
تبكي على الطللِ المُفْزِع ...
* * * * *
ربعُ نبعي معي
أشرب الأبحر السبعة الآن
اسكبها في يد الضاد
قطرة حبرٍ
أغنّي على فرع ليلى
وليلى تسد (الفرات)
بإبهام نشوتها
وأساور أحلامها قَيَّدَتْ
(حوتَ يونس)
والحوت مدَّ جناحيهِ
حتى استقرَّ
على (سدرة المنُتهى) يَدّعي ...
* * * * *
رفرفت أضلعي
رفرفت أضلعي
وهي تحمل قلبي
إلى ما وراء المجرات
حتى غدا (نيزكاً) شُهبي الملامح
يرنو إلى (القدس)
والقدس معصوبة الرأس
والكأس
(بالسم) مملوءةً
فمتى يَجْرَعُ الغاصبون
الزُّعاف المعتّق
من قبضة (المارِدِ البابلي)

المقيّد في جِذع (زيتونةٍ)
زَيتُها لا يضيء
وأغصانها حَجَبت شمس آمالنا
فجلسنا على الطّين في ظِلّها الفجّ
نرقب مثل اليتامى
أكُفَ (الكلاب) التي تنبحُ (المُزنَ)
والمزنُ تُمطرنا بالضياء
الذي لا نراهُ
وتمطرهم بالظلام
الذي لا يرون
فهم لا يعون
ونحن إقتداءُ بهم
لا نعي .. لا نعي ..
* * * * *
عُشر وَقْعِي معي
والمواويل مصلوبةٌ
في جذوع النجوم التي
خاصرت وهج العشق
وامتاحت الطهرَ
من مهج الورد
والبرق بعد هطول المعاني
على هاجس الشعر
يحبو على إصبعي ...
* * * * *
الفتى الألمعي
الفتى الألمعي
(صام ليلاً)
وصلى الضحى نائما
بعد منتصف الخوف من غدره
ركعةً واحدةْ
بعدما ارتفع الحمق
عن أفق السُّحق
في ليلة المشتهى
قدر رُمحين
لكن قيثارة (الزعفران) الأثيم

استحالت قنوتاً يرتّلهُ البوم
والقوم من خلفه أمَّنُوا
أنَّ مَن يزرعُ الفجرَ
يجني ضياءً ويُودَعُ (زنزانة) الليل
والويل يُلقي تراتيل
أحلامه الحمر في مسمعي ....
* * * * *

* الأستاذ حسن بن محمد الزهراني يجمع بين التربية والإبداع فهو مرب فاضل شار إليه بالبنان ، وهو شاعر لا يشق له غبار يتكئ على التراث الإسلامي ، ويساهم في بناء الحاضر ، وعينه كما هو خياله عن المستقبل لا تريم .

على محيَّا السَّحاب

د. نبيلة زباري *

أيا غريباً أقرب ! ..
أتيت
من بين كل الأوقات
تزرع لي قمراً في طريق ..
وعناقيد .. وياسمين ..
وأرجوحة لآلاف النجوم
في غفوةِ قنديل ..!

***

من بين كلّ الأوقات
رافقتَ الصَّباح ..
ونسجْت أوتاراً وموالاً
ورسمْت غاباتٍ وأشجاراً
فوق أهداب صمتي ..
وعلى مُحيّا السحاب ..
كقيثارةٍ تتنفس الورد
من الكلمات .. !

***

آه أيها الغريب الأقرب ..
أيا ممسكاً بزمام القوافي
وعوسج الحروف
والأنّات ..
ها أنت تأتي .. حاضناً حلمك ..
ولم يزل يكبر الحلم فيك ..
فالحقول ربما تصير
أكفّاً لقبائل الزهور ..
وتصير وتصير
صدراً حنوناً

لأدمع الأمطار ..!

***

من بين كل الأوقات
أتيت ..
تخبئ الجرحَ في ظلِّ قصيدة ..
وتواري عند لثغةِ العصافير
أطنانَ عناء ..!
تمتشق الحبَّ
وتعزف اسم الحبيبة
على موعد الضُحى ..
وبهمس تسافر ..
وبصخب تسافر ..
مُعلقاً أمنية في جبين الرذاذ ..

وقرنفلةٌ فوق صبر الحصون
علّها تهطل ذات صلاة ..
لتكسر حصار النخيل ..
وتضمخ فضة الموج
بشوق سفينة
تتأهب معك
للإبحار ..!!

---

* الدكتورة نبيلة عضو هيئة تدريس بجامعة البحرين وترأس قسم تكنولوجيا التعليم .

حنانيك

د. أحمد الـريمـاوي *

تظنين ليلاي أن اختفاء المواويل صد
تظنين أن احتفاء القناديل رد
تظنين أن احتباس القوارير ...
ينبت في الجو ورد
ألا ليت صبري ...
من قال أن ابتعاد الدراري ...
جفاء وزهد ؟
ومن قال أن اعتزال الخيارى ...
عن الرقص عند ؟
ومن قال أن انتظار البراري ...
لغيث السواقي معد ؟
***
حنانيك ...
إني كسرت الرتابة
حناينك ...
إني قتلت شعور الغرابة
حنانيك ...
إني سكبت على الروح آهك ...
ناياً تناجي سحابة
حنانيك ...
إني نقشت على صفحة البوح ...
همسك قيثارة ...
والحديث ربابه
***

تظنين أن سكون الحساسين [١]
سطَّر في دفتر الإنطواء ابتهاجاً
تظنين أن الهروب انفراجاً
ألا تبصرين الشحارير ...
تذكي المسيرات باللافتات احتجاجاً ؟
ألا تبصرين اليمام إذا التاع ...
يحيي الهديلا ؟

ألا تبصرين الخيول إذا سرحت ...
تسترد الصهيلا ؟
ثقل قبل الغياب الأصيلا
ألا تبصرين الشواطئ
تحضن موجاً عنيداً ... يجيد الرحيلا ؟
***
هو البحر سيدتي ...
ضالع في التوحد
.. آه .. هو البحر غمد
هو البحر جزر ...
هو البحر مد
هو البحر بوح ...
هو البحر رمد
هو البحر قرب ...
هو البحر بعد
هو البحر لحن ...
هو البحر شد

فأنى اتكأت ...
وأنى انطلقت ...
فإن عذابي لنجواك ند
وأنى انتظرت ...
وأنى حلمت ...
وأنى رحلت ...
فإن سحابي لدنياك برد ...
*** *** ***

* الدكتور الريماوي عضو اتحاد كتاب فلسطين ، وقد حصل على جوائز في الإبداع من أمريكا والعالم العربي .
(١) الحساسين : جمع حسون وهو من الطيور الجميلة المغردة .

دراسات وبحوث

المرأة ... بطول التاريخ وعرض الجغرافيا

د . يمنى استيت *

أصبح انتقاد موقف الإسلام من المرأة نقطة التقاء . ربما وحيدة . تجمع الفرقاء في الإعلام والاجتماع و حتى السياسة في العالم ، وغدا التحذير مما يطلقون عليه " التمييز الإسلامي ضد المرأة " قاسماً مشتركاً يظهر في كافة التقارير والتوصيات التي تصدر عن المنظمات والهيئات المعنية بمصالح سكان هذا الكوكب ، وكأن المرأة لا تعاني إلا إذا كانت مسلمة ، أو أن مشكلاتها كالأمراض المتوطنة تتوزع جغرافياً وتنحصر داخل حدود البلدان الإسلامية !! و والعجيب أن من يسلكون هذا المسلك يغضون الطرف تماماً عن مشكلات و أزمات المرأة الملحة في بلادهم ، والتي تؤكده تقارير و إحصائيات ذات المنظمات الدولية التي تدين موقف الإسلام من المرأة .

ويتطوع الجميع برصد المشكلات ووضع المعايير واقتراح الحلول ، بل ويحاولون فرض تلك الحلول في بعض الأحيان ، متجاهلين عمداً أو سهواً الأسباب الحقيقية والمنطقية لتلك المشكلات ، والتي يعد أبرزها تغليب المسلمين للعرف على الدين حتى وإن خالف هذا العرف صحيح الدين ، فلا يعنيهم مطلقاً إن كانت مشكلات المرأة لدى المسلمين نابعة من اتباعهم لتعاليم الإسلام أم من مخالفتهم إياها ، وكأن الغاية هى إدانة الإسلام وليست إنصاف المرأة .

ونحن بالطبع لا نتفق مع من يهاجمون الإسلام و يحملونه تبعات أخطاء من ينتسبون إليه، وفي ذات الوقت لسنا مع من ينكر وجود أي مشكلات للمرأة في بلاد المسلمين ، ولكننا نعترف بأن هناك مشكلات ومعوقات بل وأزمات تواجهها المرأة لدى المسلمين وفي الغرب على السواء ، ونعتقد أن الوقوف على الأسباب الحقيقية لتلك المشكلات هو البداية الصحيحة لحلها ، و هو ما يستوجب من المسلمين التزام الحيدة والشفافية و الواقعية في دراستهم لواقع المرأة في بلادهم .

و كذلك فإن إدانة الإسلام بسبب ممارستهم التي لا علاقة له بها ، تستوجب منهم التخلي عن التزام موقف الدفاع الذي اعتادوا عليه ، والبحث عن مساحة مشتركة ينطلق منها حوارهم مع من ينتقدون موقف الإسلام من المرأة ، والتي قد تتمثل في دراسة وضع المرأة في ظل شتى الشرائع والحضارات والأنظمة والأيدولوجيات قديماً وحديثاً ، لاختيار النموذج الأمثل الذي أثبتت التجربة إنصافه للمرأة ، وهى مقارنة نراها ضرورية لتصحيح المفاهيم ، كما أنها ستمثل أفضل دفاع عن الإسلام فبضدها تتميز الأشياء .

ولعل ما يؤكد حتمية هذا المنطلق في الحوار هو التأمل في مواقف الذين ينتقدون موقف الإسلام من المرأة ، فهم أنفسهم لا يخفون (رغم علمانيتهم) استنادهم إلى مرجعيات دينية أو حضارات سابقة ، تدفعهم إلى رفض النموذج الذي قدمه الإسلام في التعامل مع قضايا المرأة ، ولعل أصدق الأمثلة على ذلك ، تلك المقولة الشهيرة التي تناقلتها مختلف وسائل الإعلام وورد ذكرها في العديد من المصادر للمستشار الألماني السابق (جيرهارد شرودر)والتي برر فيها رفض بلاده (والغرب عموماً) لحجاب المرأة الم المسلمة (رغم

كونه حرية شخصية)، بإنه راجع إلى أن الحضارة الغربية الحديثة التي قامت على أسس من الحضارتين اليونانية والرومانية ، و على هدى من تعاليم المسيحية و اليهودية ، لا تقبل بحجاب المرأة المسلمة !!

و هو ما يؤكد أهمية الوقوف على أوضاع المرأة في تلك الشرائع والحضارات ... بل و في الحضارة الغربية ذاتها والتي قامت على أسس ودعائم من تلك الشرائع والحضارات ، و هو ما يستلزم منا القيام بجولة مع المرأة قد تمتد بطول التاريخ وتتسع بعرض الجغرافيا ، ويجب علينا فيها التخلي عن تلك النظرة الضيقة التي تحصر أسباب تردي أوضاع المرأة في أي بقعة من العالم أو في أي مرحلة من التاريخ في اضطهاد المرأة بوجه خاص ؛ لأن ذلك إن وجد في أي مكان أو زمان فإنما يشير بوضوح إلى معاناة الإنسانية بوجه عام والذي تكون معاناة المرأة فيه ما هي إلا قمة جبل الجليد البادية أمامنا ، بينما الذي يخفى من معاناة الإنسان ، رجلاً كان أو إمراة أو طفلاً يمثل أضعاف مايبدو أمامنا .

ولعله من الأنسب أن نبدأ جولتنا بتفقد أحوال المرأة في ظل العقائد الأخرى لكون الإسلام مثلها مبني على عقيدة تنتسب للسماء وذلك قبل أن نتطرق لأوضاع المرأة في الحضارات الأخرى القديمة والمعاصرة على السواء .

ونرى أنه لا بد و أن نشير إلى أ، إيمان المسلم لا يصح إلا بالإيمان بالرسل أجمعين ومنهم موسى وعيسى عليها السلام ، وكذلك بالكتب السابقة ومنها التوراة والإنجيل ، و على ذلك فإن تناولنا لموقف تلك الكتب (المقدسة لدى أتباعها) من المرأة لن يعدو كونه قراءة أمينة لما حوته في هذا الشأن ، لم نتدخل فيها بالتحريف لأي نص ، أو نبتسره عن سياقه لخدمة أي غرض لأن بغيتنا هي الوصول إلى الحقيقة .

١) المرأة في العقيدة اليهودية :

للمرأة في العقيدة اليهودية وضع محوري خطير فهي كما ورد في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث من (١_١٩) هي التي أغرت زوجها بالأكل من الشجرة المحرمة وبذلك تسببت في الخطيئة الأولى التي حلت لعنتها على المرأة والرجل وذريتهما بل و على كوكب الأرض أيضاً ويقول النص :

"فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل و أنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً منه فأكل "

فالمرأة مسؤولة وبكل وضوح عن هذه المعصية كما هو وارد بالنص وهي السبب المباشر لها ، والعقوبة التي نالتها جزاء فعلتها هذه وردت في نفس الإصحاح بعدها بقليل على لسان الرب مخاطباً المرأة :

" وقال للمرأة : تكثيراً و أكثر إتعاب حبلك (يعني حملك الأجنة) بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك (يعني يسيطر) "

ويفهم مما سبق أن دور المرأة الطبيعي في الحمل والولادة والذي تتحمل فيه الآلام لكي تستمر مسيرة البشرية ينظر إليه في العقيدة اليهودية على أنه عقوبة من الله للمرأة ، وعلى

ذلك فلا تنتظر عليه ثواباً ولا تكريماً بل يكفيها أن تكفر عن ذنب جنته المرأة الأولي وعوقبت بسببه كل النساء إلى زوال الدنيا !!

ونلاحظ – أيضاً – أن عاطفة المرأة تجاه الرجل كما ورد بالنص إنما هي عقوبة أخرى استحقتها المرأة وذريتها من بنات جنسها ، وفي الحقيقة فإن النص قد أغفل تماماً عاطفة الرجل تجاه المرأة والتي لا يمكن أن ينكرها أحد فلم يفسرها لنا ولم يوضح هل هي أيضاً عقوبة مستحقة على الرجل أو أنها راجعة لأسباب أخرى .

نري أن ثالثة الأثافي أو العقوبات التي لحقت بالمرأة وذريتها – كما ورد بالنص – هي أن الرجل يسود ويسيطر عليها فوضع الرجل مفضل ومسيطر على المرأة بنص الكتاب المقدس كعقوبة من الله للمرأة ولذريتها .

واستكمالاً للصورة وحتى نعرف ما حل بآدم بل وبكوكب الأرض فإننا نذكر باقي ما ورد في الإصحاح الثالث من سفر التكوين رقم ١٩ وذلك على لسان الرب :

" و قال لآدم لأنك سمعت قول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً : لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك و تأكل عشب الحقل . بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود "

وهذا الجزء من النص يوضح أن آدم معاقب أيضاً لسماعه كلام امرأته و هي إشارة واضحة لما يجب على آدم وذريته من الذكور فعله حيال وسوسة النساء طوال حياتهم على الأرض .

كما أننا نلاحظ أيضاً أن عبارة (ملعونة الأرض بسببك) تشير إلى أن اللعنات تجاوزت البشر إلى الجماد وأنها حلت بالكوكب الأرضي من قبل أن تطأه أقدام البشر مما يعطينا فكرة كاملة عن الجو الموبوء باللعنة الذي تصوره العقيدة اليهودية للحياة على ظهر هذا الكوكب الملعون الذي يقطنه بشر ملعونون .

ويتضح مما سبق أن الجميع معاقب و أن اللعنة قد حلت بالجميع فالمرأة و إن اضطهدت باعتبارها المسؤولة عن الخطيئة الأولى وإن لم يقدر لها تعبها وآلامها في إنجاب البشرية فإن الرجل أيضاً يسلم من اللعنة ... فوضع المرأة المتردي في العقيدة اليهودية هو جزء من الوضع المأساوي الذي حل بلإنسانية رجالاً ونساءً والذي جعل الدور الطبيعي لكل منهم في الحياة عقوبة مستحقة عليه ولعنة تلازمه مادامت الحياة بل وامتدت العقوبات حتى طالت الأرض بالعقوبة ، ولعل ذلك يؤكد ما سبق وأشرنا إليه من أن المصائب لا تأتي فرادى وأن المرأة إن اضطهدت فإنها لا تكون بمفردها ، وأن وضعها المتأزم يشير إلى أزمة أكبر تحيط بالإنسانية بأسرها .

ولعله مما يؤكد تلك النظرة المتشائمة للمرأة ما ورد في التوراة (يوشع ١/٢٥) :

"من المرأة ابتدأت الخطيئة وبسببها نموت جميعاً "

فالمرأة في العقيدة اليهودية مبعث كل الشرور وعليه فهي معاقبة بالإضافة إلى ما سبق ذكره من عقوبات بعقوبات أخرى تصمها بالنجاسة وتجعل مجرد إنجاب الأنثى نجاسة إلى غير ذلك مما أورد بعضه د/أحمد غنيم

والذي نقتطف منه :"إن المرأة (يقصد في العقيدة اليهودية) معاقبة بالنجاسة الوبائية طوال فترة حيضها و أن مدة نفاس المرأة عند ولادتها بنتاً هي ضعف فترة النفاس عند ولادتها ذكراً إضافة إلى أن أجر المرأة على الطاعات هو نصف أجر الرجل في الطاعات المتساوية و أن افتراض الخطأ في حقها هو المتبع عند اتهامها بالزنا و لو لم يكن لدى من يتهمها دليل على وقوعها فيه "

وإذا كانت العقيدة اليهودية قد رسخت النظرة السلبية للمرأة وجعلتها ركناً من أركان العقيدة فإن الشريعة اليهودية قد أجهزت على أي أمل للمرأة ، فأهدرت حقوقها المدينة وغيرها من الحقوق الأخرى ، فالمرأة في ظل الشريعة اليهودية لا تتمتع بأهلية كاملة ، و إنما تخضع لوصاية والدها ثم وصاية زوجها إذا تزوجت ، وهي لا ترث مطلقاً إلا إذا كانت بمفردها ولا يوجد وارث غيرها ويشترط عليها في هذه الحالة أن تتزوج بأحد رجال العائلة حتى يعود المال مرة أخرى للعائلة ، وتعتبر الشريعة اليهودية كل ما تملكه المرأة ملكاً لزوجها بعد زواجها لا يحق لها التصرف قي أي شيء منه وليست لها أي ذمة مالية مستقلة ، ولكن أقسى ما واجهته المرأة في ظل تلك الشريعة هو ما منحته من حق لليهودي في أن يبيع ابنته في صغرها بينما حرمت بيعه لابنه ، وقد اعتبرت بعض طوائف اليهود البنت في مرتبة الخادم .

و يمكننا في ضوء ما عرفنا من مكانة المرأة لدى اليهود أن نصل إلى قناعة بأن حل مشكلات المرأة بالعالم لن يأتي عن طريق الشريعة اليهودية ، بل ويمكننا القول بأن المرأة في ظل تلك الشريعة تحتاج بشدة إلى من ينقذها .

٢) المرأة في العقيدة المسيحية :

يري كثير من العلماء أن الفكر الديني المسيحي مر بمر حلتين في التشريعات الخاصة بالمرأة وبين المرحلتين اختلاف كبير .

المرحلة الأولى : وهي مرحلة الأناجيل الأربعة المعتمدة عند الكنيسة وهي التي سردت كل ما يروى عن المسيح عليه السلام وما قاله الحواريون الأربعة الذين كتبوا الأناجيل وهم متى ، ولوقا ، ومرقص ، ويوحنا وهذه المرحلة خلت تماماً من الإشارة إلى الخطيئة الموروثة لآدم وزوجته وذريتهما بل إننا نجد بها إشارات إلى الرحمة بالنساء منها ما ورد في الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا رقم (٢٠،٢١)

"المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ، ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة ، لسبب الفرح ، لأنه قد ولد إنسان في العالم "

وهي نظرة متفائلة لدور المرأة في الحياة بعكس ما جاء لدى اليهود بل إننا نجد تسامحاً كبيراً مع المرأة حتى وإن أخطأت ولعل الرد الشهير الذي ينسب للمسيح عليه السلام والذي رد به على من اتهموا امرأة بالزنا فقال لهم " من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر " – لعله –من الأمثلة الواضحة الدلالة على التسامح مع المرأة في نصوص تلك المرحلة .

المرحلة الثانية : و هي المرحلة التي أدخل فيها بولس الملقب ببولس الرسول أفكاراً كثيرة من اليهودية على المسيحية و من تلك الأفكار الخطيئة الأولى ومسؤولية المرأة عنها

ووراثة الخطيئة وغيرها الكثير من أصول العقيدة المسيحية الموجودة الآن بالإضافة إلى الكثير جداً من الأفكار والمفاهيم السلبية المتعلقة بالمرأة و من أشهر أقوال بولس فيما يخص المرأة:-

"أيتها المرأة يجب عليك أن تكوني مغطاة بالحداد لا تظهرين للأبصار إلا بمظهر الخائفة الغارقة في الدموع لأنك ابنة حواء مصدر الخطيئة وسبب سقوط العنصر البشري ، وإنك أنت التي فتحت الباب للشيطان . وإنك أنت التي تناولت فاكهة الشجرة المحرمة "

" ولكن لست آذن للمرأة أن تتعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت لأن آدم جبل أولاً ثم حواء وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت ".

" لتصمت النساء في الكنائس ، لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخفضن كما يقول الناموس "

ولا بد لنا بعد ما سبق من مقتطفات من أقوال بولس أن نشير إلى أن المجمع عليه من الباحثين في أسفار العهد الجديد من غير المسلمين والمسلمين على السواء بل و من علماء المسيحية أنفسهم أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدي الكنيسة قد كتبها الحواريون بعد أن كتب بولس رسائله المعروفة ومنها أخذ كتاب الأناجيل الكثير من أصول المسيحية – اليهودية كما أسماها مفكرو الغرب إلا أن كتاب الأناجيل أعرضوا عما يختص بشؤون المرأة في رسائل بولس وبذلك فهو يعد وحده مسؤولاً عن أي فكرة سلبية تجاه المرأة في العقيدة المسيحية أو في الفكر المسيحي المعاصر .

ولأن المسيحيين يؤمنون بالعهد القديم والعهد الجديد معاً ، فإن تعاليم بولس لم تكن وحدها هى أشد ما يواجه المرأة في ظل المسيحية ، ولكن أصبح لزاماً على المرأة في ظلها أيضاً أن تتحمل تبعات الاعتقاد بكل ما ورد من أفكار سلبية تخص المرأة في العهد القديم ، ولعل أصدق مثال على ذلك معارضة الكنيسة الغربية قديماً لاستخدام (الكلوروفورم المخدر) في تخفيف آلام الولادة عن المرأة ، باعتبار ذلك معارضاً للكتاب المقدس ، الذي قضى عليها بتكثير متاعب الحمل كما جاء في سفر التكوين (٣،١٥،١٦)، وكذلك مجمع (ما كون) الذي انعقد في القرن الخامس الميلادي وبحث في المرأة وتكوينها وهل هى جسم فقط بغير روح أم بها روح ؟ و إذا كانت لها روح فهل هى روح تامة ؟ وانتهوا أخيراً إلى أن النساء أرواحهن غير تامة ما عدا السيدة مريم البتول .

وقد تبع الاعتقاد في نقص المرأة وشرها بل ونجاسة من يتصل بها أن ظهرت فكرة الرهبنة فترك الرجال كل مباهج الحياة واعتزلوا في الصوامع والصحارى والكهوف ، وبذلك نجد أن المشكلات التي حلت بالمرأة في ظل العقيدة المسيحية قد لحقت بالرجال بصورة أخرى وأن حرمان المرأة من كرامتها وحقوقها كان جزءاً من صورة يتممها حرمان الرجل من كل شيء في الحياة ، فالمرأة تشقي حيث تشقى الإنسانية كلها .

ولكن الملمح الأهم الذي يجب أن ننتبه إليه هو أن آراء علماء الدين في المسيحية والتي قهرت المرأة لقرون طويلة لم تأت مناقضة لتعاليم الدين ، وإنما جاءت نابعة ومبنية على نصوص صريحة في الكتاب المقدس ، بمعنى أن التطبيق قد جاء موافقاً للنظرية ، وهو ما يؤكد أن مشكلات المرأة بالعالم لن تجد الحل الناجح لدى المسيحية ، و أن الباحثين عن حل

مشكلات المرأة عليهم أن ينقبوا في الحضارات والشرائع الأخرى في العالم عبر تاريخ البشرية، إذا أرادوا الوصول إلى أفضل نموذج يقدم الحل لما تواجهه المرأة من مشكلات .

٣) المرأة في الحضارة الفرعونية :

استثنى المؤرخون الحضارة المصرية القديمة (الفرعونية) من الحضارات المضطهدة للمرأة ، وبالفعل فإن المرأة قد حظيت في ظل الحضارة المصرية القديمة بوضع جيد لا ظلم فيه كما حظيت الأم بمكانة خاصة وأوصى الحكماء بالزوجة وأهمية رعايتها والإنفاق عليها، وإن كان البعض يرى ومنهم الأستاذ العقاد أن وضع المرأة المثالي في الحضارة المصرية القديمة لم يكن ناتجاً عن عقيدة ، وإنما اقتضته الحياة وطبيعتها التي أوجبت تعاون الرجل والمرأة وهو رأي له قيمته ، خاصة و أن الحضارة الفرعونية قد قامت على الزراعة مما كان يستوجب تعاون كل أفراد الأسرة في هذه المهنة مما هيأ للمرأة ظروفاً مناسبة لتتبوأ مكانة متميزة في الأسرة والمجتمع ، كما أن بعض الباحثين مثل الدكتور جمال حمدان ذهب إلى أن كل الظروف الطبيعية التي توافرت لمصر وأدت إلى قيام أول الحضارات الإنسانية بها ، يرى أنه أيضاً انطبعت على الشخصية المصرية فجعلتها بعيدة عن التطرف والتعقيدات ، ميالة للاتزان والاعتدال والذي أعتقد أنه هيأ للرجل ظروفاً مناسبة ليتعامل مع المرأة كما تقتضي الفطرة السوية التي لا تتحفز ضد المرأة ولا تضطهدها بل تنظر إليها على أنها شريك في الإنسانية والحياة .

وقد يمثل وضع المرأة في الحضارة الفرعونية النموذج الذي نبحث عنه لحل مشكلات المرأة، لولا عادة غريبة حرص عليها المصريون القدماء تمثلت في عيد وفاء النيل الذي كانوا يقومون فيه بإلقاء أجمل فتاة لديهم في النيل لتستقر في قاعه دليلاً على عرفانهم بالجميل !!

٤) المرأة لدى العرب قديماً (الجاهلية العربية):

الحقيقة إن وضع المرأة لدى العرب قديماً محير لتناقضه وإن كان في معظم الأحيان يغلب عليه الظلم أو التضييق على المرأة حتى وصل الأمر إلى أنها كانت تورث ضمن تركة زوجها في بعض الأحيان أو توأد فور مولدها في أحيان أخرى كما أنه كان شائعاً لدى العرب تعدد الزوجات ربما إلى ما فوق الخمسين دون آية حقوق لأي من تلك الزوجات ، والذي نقصده من أن وضع المرأة لدى العرب قديماً كان محيراً هو أن المرأة رغم هذا التحكم البغيض فيها والذي يصل أحياناً للتحكم في حياتها أو موتها _رغم ذلك_ فإن العرب اعتبروا المرأة المثل الأعلى للشرف الذي يهون الموت في سبيل الدفاع عنه ، وكانت أشهر أشعارهم لا تبدأ إلا بالغزل في المرأة وكانت للأم مكانة عالية لديهم بل إننا نجد أنه قد ظهرت عدة ملكات في العرب سواء قبل الميلاد أو بعده مثل الملكتين زيبي (زبيبة) والتي حكمت الشام حوالي عام ٧٣٨ق.م والملكة شمس التي حكمت فلسطين ومؤاب وورد ذكرها في اللوحات الملكية الآشورية الأثرية . وهما ملكتان من العرب العمالقة . كما أنه من الملكات العربيات الملكة بلقيس ملكة سبأ وكذلك الملكة زنوبيا (الزباء) والتي جاءت بعد الميلاد وبلغ بها

الطموح أن تتحدى دولة الروم وتعبر بقواتها مضيق البسفور وتضرب الحصار على القسطنطينية محاولة احتلال عاصمة الإمبراطورية الرومانية .

وخلاصة القول إن العرب منذ القدم وإن تردت أوضاع المرأة لديهم في أحيان كثيرة إلا أنها – أيضاً – حظيت بمكانة متميزة في أحيان أخرى مما حدا بالبعض كالشيخ محمد الغزالي أن يقول "بأن الجاهلية العربية كانت أشرف من جاهليات اليونان والرومان لا سيما في الوضع الاجتماعي للمرأة كما ذهب إلى ذلك الأستاذ محمد حسين هيكل الذي قال :"إن الجماعات العربية كانت مع ما وصفنا من أمرها ، خيراً بكثير من الجماعات المعاصرة لها في آسيا و في أوروبا ... حتى أن مكانة المرأة من الرجل في أوروبا كانت دون مكانة المرأة العربية من الرجل حتى في البادية وذلك في القرن السابع الميلادي الذي جاء فيه الإسلام ".

٥) المرأة في حضارة بابل :

لعل الرجوع إلى شريعة حمورابي يعد بياناً كافياً لأحوال المرأة في الحضارة البابلية وقد كانت المرأة في تلك الشريعة ينظر إليها على أنها من قطعان الماشية والدواب المملوكة ، ولعل هذا يغني عن كثرة البحث في أوضاع المرأة في تلك الحضارة .

٦) المرأة لدى الفرس :

المشهور عن حضارة الفرس أن الطبقية والتفرقة العنصرية كانت أهم ما يميزها حتى أن الملوك لديهم كانوا مشهورين بدمائهم الزرقاء وأن واجب الرعية تجاههم هو الطاعة العمياء وأن تحكم الملوك وطبقة النبلاء في شعوبهم كان يمتد ليشمل التحكم في الحياة والموت لكافة الأفراد دون أية غضاضة ، أما بالنسبة للمرأة فقد كانت ممتهنة بشدة وكانت المتعة بها مشاعاً بين الرجال ولا يستثنى من ذلك صفوة المجتمع ، ويكفي أن نذكر أنه حين جاء الإسلام كان آخر ملوكهم متزوجاً من أخته مما يشير بوضوح إلى أن نظام الأسرة في حضارة الفرس حتى القرن السابع الميلادي كان يقرب من أوليات مراتب الإنسانية ، ولعلنا نلاحظ هنا أيضاً أن تردي أحوال المرأة لدى الفرس كان قريناً لتردي أحوال الأسرة والمجتمع لديهم .

٧) المرأة في الهند بين الأمس واليوم :

نشأت الديانة البوذية في الهند،ويكفينا أن نعرف أنها لم يكن فيها سبيل للنجاة لمن اتصل بامرأة وقد اعتقد الهنود البرهميون أن الإله (براهما) قد خلق الحكماء من رأسه والجنود من ذراعيه والتجار من بطنه والمنبوذين من قديمه ، وكان أبناء تلك الطبقات يرث بعضهم بعضاً ولا أمل لأي فرد مهما بلغت به مواهبه في أن يلفت من مصيره بأن يبقى أسير الطبقة التي قدر له أن يولد بها ، والمؤكد أن شريعة كهذه تقوم على التفرقة العنصرية لن تستثنى المرأة بوضع متميز بل إن التمييز ضد المرأة في تلك الشريعة كان شديداً فنجد أنها تنص على أن المرأة تظل طوال حياتها تحت سيطرة الرجل وتنفذ أوامره وليس لها الحق في أي تصرف قانوني ولا أن تجرى أي أمر وفق مشيئتها ، وإلى هذه الأحكام تشير المادتان (١٤٧،١٤٨) من قوانين مانو اللتان تقرران :-

أنه لا يحق للمرأة في آية مرحلة من مراحل حياتها ، أي سواء في طفولتها أو في شبابها أو في شيخوختها أن تجري أي أمر وفق مشيئتها ورغبتها الخاصة حتى لو كان ذلك الأمر من الأمور الداخلية لمنزلها (مادة ١٤٧). ففي مراحل طفولتها تتبع والديها و في مرحلة شبابها تكون تابعة لزوجها فإذا مات زوجها تنتقل الولاية عليها إلى أبنائه ، فإن لم يكن له أبناء تنتقل الولاية عليها إلى رجال عشيرتها الأقربين ، فإن لم يكن له أقرباء انتقلت الولاية عليها إلى عمومتها ، فإن لم يكن لها رجال عمومة انتقلت الولاية عليها للحاكم ، فليس للمرأة في أي مرحلة من مراحل حياتها حق في الحرية ولا في الاستقلال ولا في التصرف ما تشاء (مادة ١٤٨)".

والأمر المذهل فيما سبق هو هذه الحيطة والدقة البالغة في ملاحقة والتوسع في افتراض كافة الاحتمالات التي يمكن أن تتعرض لها في حياتها حتى لا تترك أية ثغرة يمكن أن تتطلع منها المرأة إلى بعض الحرية إلا أغلقتها أمامها . وإضافة إلى قوانين مانو فإن الديانة الهندكية قد أسهمت هي الأخرى في تردي أوضاع الهند القديمة ، وذلك بمنعها التعليم (الويد) عن المرأة والذي جعلته قاصراً على الرجال ، ولعل أشنع ما كان في تلك الديانة هو حرق الزوجة حية مع زوجها المتوفى ليدخلا سوياً عالم الفناء (النرفانا) و هو ما ظل سارياً حتى حرمته الحكومات المسلمة ومنعته الحكومة الإنجليزية .

ولعله مما يثير الأسى أن الشعور بالمهانة والدونية بل والعبودية و كان زوجها معبودا لها وإلهاً وهما من تصورات المجتمع الهندكي والذي مازال به هذان المصطلحان معروفان إلى اليوم.

و إذا كان ما سبق من مآسي خير شاهد على حال المرأة بالهند القديمة ، فإن المفجع حقاً أننا عندما ننتقل من التاريخ إلى الجغرافيا وننظر إلى الهند اليوم كإحدى بقاع العالم التي يقارب تعداد سكانها خمس سكان العالم ونستطلع حال المرأة لديهم في القرن الحادي والعشرين للميلاد فإننا نصدم بواقع مرير مثل ما يصوره ذلك الخبر الوارد بالصحف و منها صحيفة الأهرام المصرية ، والذي جاء فيه أنه خلال العشرين عاماً الماضية ذهبت عشرة ملايين أنثى ضحايا ظاهرة وأد البنات في الهند ، وأوضح الخبر أن هذا الإحصاء جاء على لسان وزيرة شئون المرأة والطفل في الهند (رينوكا تشودري) التي أقرت بوجود تمييز زائد

ضد المرأة في الهند ، وحذرت من التحيزات الاجتماعية التي تحول دون حصول النساء على فرصتهن في التعليم والعمل وأشارت إلى الطرق البشعة التي يتخلص بها الآباء من حياة الإناث إما بسكب الرمل أو عصارة التبغ في ثقوب أنوفهن لكي يختنقن ويمتن ، مؤكدة انتشار هذا الأمر في بعض الولايات الهندية وتحديداً ولاية راجاستان ، وأضافت الوزيرة الهندية أن البعض في الهند يضعون الرضيعات في قدور وهن أحياء ثم يدفنون القدور أو يضعون التبغ في فمها ويعلقونها مقلوبة كما تعلق حزمة الزهور لتجف والحقيقة إنني أتعجب أن يحدث ذلك في أي عصر فضلاً عن أن يحدث في القرن الحادي والعشرين ، والمذهل أن ضحايا هذه الانتهاكات اللا إنسانية قد تجاوز العشرة ملايين ولم نسمع المنظمات الدولية تحرك ساكناً ، فهل لذلك أي علاقة بأن من يمارسون تلك الأفعال الشنعاء ليسوا مسلمين ؟ ولست أفهم لماذا التركيز على أوضاع المرأة وتدهورها لدى المجتمعات الإسلامية على الرغم من أن شيئاً من تلك الممارسات البشعة لا يمكن أن يخطر لأحد من المسلمين ببال بعد أن حرم الإسلام وأد البنات بنصوص القرآن منذ خمسة عشر قرن من الزمان .

٨) المرأة في الصين قديماً وحديثاً :

نستطيع أن نتلمس وضع المرأة في الصين القديمة من تعاليم وآراء فيلسوف الصين الأعظم (كونفوشيوس) والذي كان من تعاليمه :"لا يجوز للمرأة أن تأمر وتنهى ،فإن عملها قاصر على الأشغال المنزلية ، ولابد من احتجابها بالبيت حتى لا يتعدى شرها لعتبة دارها " ولعل في هذا الغناء عن كثرة التنقيب عن أحوال المرأة لديهم إلا أن شواهد العصر الحديث في الصين تثير العجب كنظيرتها في الهند إن لم تكن أكثر عجباً ، ومن ذلك ما تناقلته وكالات الأنباء المختلفة ونشر في عدة صحف منها جريدة الأهرام المصرية والذي يذكر أن النساء في الصين يئدن البنات بسبب القانون الصارم المطبق في الصين والذي يقيد حق أي زوجين في الإنجاب بفرصة واحدة فقط تتوالى بعدها عليهم وعلى المولود العقوبات إن هم تجاوزوها إلى طفلين أو أكثر مما جعل النساء في الصين يقبلن بشدة على اختبارات الأجنة لتحديد نوع الجنين والتخلص منه إذا ما ثبت أنه أنثى أملاً في الحصول على مولود ذكر والغريب هنا أن الذي يقوم بوأد البنات في هذه الحالة هن النساء أنفسهن وأن تفضيل الذكور والتمييز ضد المرأة هو اختيار المرأة في مجتمع يتجاوز تعداده خمس البشر مما ينبئ عن نوع من الثقافة الذكورية تسود ذلك المجتمع وبالطبع لم نسمع من يندد بتلك الممارسات أو يطالب بحقوق الإناث الموؤدات حتى وإن تجاوز عددهن تعداد بعض الدول حتى إن خللاً ديموجرافياً قد حدث ببعض المناطق في الصين وبلغ العجز في عدد الإناث في مقابل الذكور ١٢١مليون لصالح الذكور مما تسبب في الحاجة لجلب النساء من بعض الأقطار الأخرى خاصة فيتنام لغرض الزواج في الصين وذلك على الرغم من التعداد الرهيب للسكان في الصين ، ولعل السبب في عدم إثارة مثل هذه المشكلات لأي قلق لدى من يطالبون بحقوق المرأة عالمياً يكمن في أن من يمارسون التمييز ضد الإناث ليسوا من المسلمين أو ربما لأن حق الإجهاض هو من الحقوق الأصلية للمرأة التي يجب احترامها حتى وإن اشتمل هذا الحق على تمييز ضد المرأة واعتداء على حق امرأة أخرى في الحياة .

٩) المرأة في الحضارة اليونانية :

تميزت الحضارة اليونانية بازدهار الفلسفة والفنون حتى إن أبناء الحضارة الأوروبية يفخرون بنسبة أصول حضارتهم إلى الحضارة اليونانية القديمة ، ولعل بحثنا في موقف هذه الحضارة من المرأة يعيننا على فهم تلك الأصول التي تفاخربها وتستند إليها الحضارة الأوروبية الحديثة .

وقد اشتهرت في الحضارة اليونانية القديمة مملكتان هما أسبرطة وأثينا ، فأما أسبرطة فكانت دولة من الجنود لا هم لها إلا الغزو والحرب ولا مكان فيها إلا للأقوياء يربَّى فيها البنين في عصابات صغيرة والبنات في مدارس المصارعة وذلك بعد أن يجتازوا جميعاً اختباراً قاسياً عقب ولادتهم بالصمود في العراء أو فوق قمم الجبال والنجاة من ضواري الوحوش والطيور ، ويتهيأ الشاب لديهم لدخول عالم الرجولة بقتل أحد العبيد على الأقل وغني عن البيان أن وضعاً مأساوياً للإنسانية كهذا الوضع لا مجال فيه مطلقاً للسؤال عن أوضاع المرأة... فهي مثل الرجل تقتل فور ولادتها إن كانت تعاني من أي عاهة أو نقص وإن نجت فإنها تواجه معه نفس المصير بالانخراط في حياة هي أقرب ما تكون إلى حياة الغابة عندما تشذ فطرة الحيوانات بها فتقتل صغارها .

أما المملكة الثانية باليونان فكانت مملكة أثينا والتي كانت قوانينها هي أرقى قوانين اليونان جميعاً وأقربها إلى الديمقراطية ورغم ذلك فإنها كانت لا تتيح فرصة التعليم والثقافة إلا للأحرار من ذكور اليونان بينما تغلقها إغلاقاً تاماً أمام النساء وقد عبر عن ذلك كبير فلاسفتهم أرسطو بل وصاغه في نظرية علمية فقرر في كتابه السياسة " أن الطبيعة لم تزود النساء بأي استعداد عقلي يعتد به ولذلك يجب أن تقتصر تربيتهن على شئون تدبير المنزل والحضانة والأمومة "

كما أن أفلاطون والذي مازالت فلسفته تدرس إلى يومنا هذا قد طرح في مدينته الفاضلة وطبق في أكاديميته نموذجاً تربوياً طموحاً تدرج فيه في تربية الإنسان منذ مولده وامتد به حتى تجاوز سن الخمسين وهو ما لم يفعله غيره من علماء التربية قديماً أو حديثاً وعلى الرغم من ذلك فلا ذكر للمرأة مطلقاً في هذا المشروع التربوي الضخم ولا مكان لها مطلقاً في طبقات المجتمع التي تنجم عنه في مختلف مراحله بل جاءت النساء آخر طبقات المجتمع وكن متروكات كلأ مباحاً على الشيوع بين طبقة الحكام والفرسان في مدينة أفلاطون الفاضلة والأعجب من ذلك أن أفلاطون نفسه كما هو مشهور تاريخياً كان يحتقر أمه ولا يطيق النظر إليها لا لذنب جنته بل لمجرد أنها امرأة ، أما سقراط فقد كان مشهوراً بسبه لامرأته واتهامه لها بالجنون كما أنها كانت مشهورة أيضاً بأنها تضربه وسط تلاميذه وقد فسرت مصادر عديدة هذا الموقف العدائي من المرأة لكلا الفيلسوفين الكبيرين ونختار منها ما أورده الشيخ محمد الغزالي – يرحمه الله – الذي قال :-"كتب ماجد نصر الدين في صحيفة اللواء الأردنية مقالاً عنوانه " لماذا ينهل المثقفون من تراث موبوء بالشذوذ "جاء فيه أن الفلاسفة الذين يعتبرهم البعض مثله الأعلى هم لواطيون ، شاذون جنسياً ، يفخرون بشذوذهم ويتباهون بمضاجعة الغلمان وقد كرهت امرأة سقراط رجلها وعافت عشرته لتعلقه

بأحد تلاميذه وقس على ذلك أفلاطون الذي تعرف على سقراط وهو صغير وسقراط مشهور بهذا الداء و مُنْهَمٌ بإفساد الشباب .

ويزعم أرسطو أن نسبة الشواذ في عصره تعادل نسبة الطبيعيين وقد جرت على لسانه عبارات لا نجرؤ على نقلها ، وتقول مؤلفة كتاب الجنس في التاريخ أن معظم المجتمعات حرمت اللواط أو تجاهلته إلا اليونان فإن البغاء المذكر كان شائعاً ويمكن استئجار الغلمان"

وإننا نضيف إلى ما سبق من الأمراض النفسية المتفشية في أثينا القديمة والتي نظرت للمرأة نظرة مشوهة – نضيف إلى ذلك – أن القانون اليوناني لم يكتفي بتجريد المرأة من حقوقها المدنية ووضعها تحت السيطرة المطلقة للرجل في مختلف مراحل حياتها بل اعتبرها هي نفسها من ممتلكات ولي أمرها قبل زواجها و من ممتلكات زوجها بعد الزواج .

ولعل موقف صفوة فلاسفة اليونان من المرأة يرينا بوضوح جانباً هاماً وركيزة أساسية من ركائز الحضارة الغربية الحديثة التي تعلن على لسان قادتها ومفكريها أنها مبنية على أساس من الحضارتين اليونانية والرومانية .

١٠) المرأة في الحضارة الرومانية :

تعد الحضارة الرومانية من أبرز الحضارات في التاريخ الإنساني وأقربها إلى الديمقراطية وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد أن أوضاع المرأة بها سواء في عصورها الوثنية أو المسيحية لا تتفق مطلقا مع ذلك الرقي وتلك الديمقراطية المنسوبة لتلك الحضارة ، ونحن هنا نعود لنؤكد أن المرأة تعاني في أي زمان ومكان حيث يعانى الإنسان وحيث تئن الإنسانية ، ويكفي هنا أن نشير إلى أن دولة الروم حال وثنيتها كانت تعد تصارع الرجال حتى الموت أو حتى تصارعهم مع الحيوانات المفترسة إنما هو من قبيل الرياضة والأمور المسلية التي تنشرح لها الصدور والتي تنشأ لها الساحات والحلبات التي لا تزال باقية إلى اليوم كشاهد على مرحلة هامة من تاريخ البشرية اعتبرت فيها شريعة الغاب أفضل ما أحرزته أكثر الجماعات البشرية حضارة في ذلك الوقت ؛ ويذكر التاريخ أن دولة الروم الوثنية التي كانت تستهين بحياة الإنسان بهذا الشكل المريع لم تكن تستثنى المرأة فتخصها بأي ميزات بل على العكس فإنها هوت بها إلى منزلة تماثل منزلة الحيوانات بل والجمادات ، والأعجب أننا إذا تأملنا أحوال المرأة في دولة الروم المسيحية وقت ظهور الإسلام وبعد انقضاء سبعة قرون على اعتناقها المسيحية فإننا نصطدم بأوضاع مخزية أجمعت على ذكرها المصادر التاريخية نقتطف منها ما ذكره الأستاذ محمد حسين هيكل عن حال المرأة لدى الروم وقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم " إن أوربا الشمالية وأوروبا الغربية كانت يومئذ في ظلمات تبيح لك أن تصور من نظام الأسرة فيها ما تريد مما يقرب من أوليات مراتب الإنسانية ، وكانت الروم وهي صاحبة الشرع يومئذ وصاحبة الغلب والسيادة والمنافس الوحيد القوي للفرس ، تجعل المرأة من الرجل في مكانة دون مكانة المرأة العربية من الرجل حتى في البادية .

كانت المرأة في شرائع الروم يومئذ معتبرة متاعاً مملوكاً للرجل يتصرف فيه كيف يشاء ويملك من أمره ما يريد حتى الحياة والموت . كانت تعامل معاملة الرق سواء لا فارق بينها وبينه في نظر الشرع الروماني ، كانت مملوكة لأبيها ثم لزوجها ثم لإبنها وكان ملكهم

إياها تاماً كملكهم الرقيق وكملكهم الحيوان والجماد ، و كان ينظر للمرأة على أنها مثار الشهوة وأنها لا سلطان على أنوثتها الحيوانية حتى لم يكن بد من اصطناع نطاق العفة ومن التمسك بذلك قروناً متوالية بعد هذا العصر " .

وعلى ذلك فإن دولة الروم المسيحية لم تتقدم فيما يخص المرأة عما كانت عليه حال وثنيتها بل وارتقت إلى الأسفل فاستحدثت نطاق العفة الذي كبلت به المرأة على حين انشغلت الكنائس والمجامع المسكونية بالبحث عما إذا كانت المرأة لها روح أم لا ؟ وهل هي ستحاسب ، أم أنها ليس لها في ملكوت الله متسع ؟!

والحقيقة إننا للأمانة والتاريخ يجب أن نسجل للحضارة الرومانية المسيحية أن اضطهادها للمرأة لم يكن الأشنع لديها وأن أحوال المرأة بها على هوانها كانت تعد نعيماً يحلم به ويتمناه أعظم الرجال في تلك الإمبراطورية ونقصد بهم العلماء حيث يسجل التاريخ (٢٣) :" أن عدد الذين عوقبوا في أوروبا بسبب فكرهم بلغ ثلاثمائة ألف أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء كان منهم العالم الطبيعي (برنو) وقتل العالم الطبيعي جاليليو لأنه اعتقد بدوران الأرض حول الشمس ،وحبس (دي رومنس) في روما حتى مات ثم حوكمت جثته وكتبه فحكم عليها بالحرق وألقيت في النار لأنه قال : إن (قوس قزح) ليست قوساً حربياً بيد الله ينتقم بها من عباده إذا أراد ، بل هي انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء " وتروى كتب التاريخ كيف تفننت محاكم التفتيش التابعة للكنيسة في تعذيب هؤلاء العلماء والمفكرين ، تارة بإحراقهم أحياء وتارة أخرى بنزع ألسنتهم وفقئ عيونهم وهم أحياء أيضاً أو حتى دهن أرجلهم بالزيت ووضعها فوق النار بعد ربطهم حتى لا يتحركوا من أماكنهم والجدير بالذكر أن تلك المخازي والتي امتدت ممارستها لأكثر من ألف عام فيما يعرف بعصور الظلمات لم تقتصر على اضطهاد المرأة والعلماء وإنما امتدت إلى عموم الشعب الذي منع من قراءة كتابه المقدس بإشراف محاكم التفتيش بل وتم قتل جميع المخالفين للملوك في المذهب الديني حتى إن الحروب الصليبية لم توجه ضد المسلمين وحدهم في الأراضي المقدسة وأسبانيا بل قامت بإبادة شعوب بأكملها (رجالا ونساءً) كشعوب (الكاتار) و (البوجوميل) و (الفودا) وذلك لمجرد رفضهم لبدعة تأليه المسيح ، مما يؤكد أن اضطهاد المرأة ومعاناة الرجل وجهان لعملة واحدة عبر التاريخ الإنساني .

وإذا انتقلنا في تتبعنا لأحوال المرأة في دولة الروم إلى العصور الوسطى و ما بعدها فإننا يجب ألا نغفل أن حركات الإصلاح الديني بل وكل ثورات التحرر التي قامت بها لم تكن لتقوم لها قائمة إلا على هدي الثقافة الإسلامية و ما جاءت به من حريات وحقوق عبرت إلى أوروبا ولم تكن معروفة بأرضها و هذا باعترافهم أنفسهم ، ويكفينا دليلاً على ذلك أن بؤس المرأة في دولة الروم الوثنية استمر في دولة الروم المسيحية لقرون طويلة جداً ، ومما يذكره التاريخ عن هوان أحوال المرأة في عصر الإقطاع على سبيل المثال أن الرجال في ذلك العصر كانوا غلاظاً نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى ، ومن ذلك ما جاء في تاريخ (غاران لوكوهيران)من معاملة النساء في عصر شارلمان و عن معاملة شارلمان نفسه لهن :"وانقض القيصر شارلمان على أخته في أثناء جدال وأخذ بشعرها وضربها ضرباً مبرحاً وكسر بقفازه الحديدي ثلاثاً من أسنانها " ولنا أن نتخيل إذا

كانت تلك هي معاملة الإمبراطور لأقرب الأميرات إليه رحماً وهي أخته فكيف كان حال المرأة من عموم الشعب في تلك الإمبراطورية ؟!

بل إن عصور الفروسية والتي عرفت خطأ بعصر (السيدة المفداة) لم تكن حال المرأة فيها أفضل على الإطلاق بل إن اسمها يدل على حالها أفضل من أي حديث ، وقد أجمل الحديث عن ذلك العصر (جون لانجيدون دافيز) صاحب كتاب (التاريخ الموجز للنساء) فقال:" إن عصر الفروسية كان معروفا بما لحظ فيه فقدان الشبان على الجملة الاهتمام بالجنس الآخر. ولعلنا نقل من الدهشة لذلك لو أننا وعينا كلمة الفروسية وذكرنا أنها لم تكن ذات شأن بالسيدات كما كانت ذات شأن بالخيل على خلاف ما يروق الكثيرين أن يذكروه فقلما بلغ الاهتمام بالمرأة الاهتمام بالحصان في عصر الفروسية إلا على اعتبار أنها عنوان صيغة " . ولم يتوقف امتهان المرأة في تاريخ الغرب عند هذا الحد ، بل إنه قد فاق كل تصور بالفعل ، ويكفينا دليلاً على ذلك ، الأمر الملكي الذي أصدره في إنجلترا الملك (هنري الثامن) بحظر قراءة الكتاب المقدس على المرأة ، وكذلك المرسوم الملكي الذي أصدره الملك الكاثوليكي (فرديناند) في عام ١٤٨٦ لينصف المرأة من ظلم لا يتصوره عقل ، والذي جاء فيه إننا نطبق العدل ونعلن أن النبلاء والبارونات لن يناموا الليلة الأولى مع المرأة التي يتزوجها الفلاح كدليل على سلطتهم !! " والغريب أن هذا الأمر كان يتم حتى صدور هذا المرسوم في عام ١٤٨٦ بمباركة الكنيسة !! كما تجدر الإشارة إلى أن المحاكم الكنسية في القرن الحادي عشر الميلادي قد أباحت للزوج أن يعير زوجته للغير !!

والغريب أن هذه المسيرة المخزية لحقوق المرأة عبر التاريخ الأوروبي امتدت حتى طلائع العصر الحديث حيث يذكر التاريخ أن امرأة حرة قد بيعت في أسواق إنجلترا في عام ١٧٩٠ نظير شلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التي كانت تؤويها ، وتذكر المراجع أن المرأة في إنجلترا ظلت حتى عام ١٨٨٢ محرومة حقها الكامل في ملك العقاربل وتجمع تلك المراجع على أن القانون الذي صدر في إنجلترا في عام ١٨٨٢ والذي رفع الحجر عن النساء وأعطاهن الحق في الاحتفاظ بالملكية الخاصة والأجر عن العمل إنما أصدره أصحاب المعامل في مجلس العموم البريطاني من أجل مصالحهم المادية نظراً لأن عمالة النساء كانت الأرخص لهم فأخرجوا المرأة من عبودية زوجها ليدخلوها في عبودية العمل المرهق في المتاجر والمعامل نظير الأجر الزهيد الذي يقل عن أجر الرجل إذا ما أدى نفس العمل ، كذلك فإننا نجد أن القانون الإيطالي لم يخرج المرأة من عداد المحجور عليهم إلا في عام ١٩١٩ تلاه في ذلك القانون الفرنسي الذي رفع جزءاً من الحجر على المرأة المتزوجة في عام ١٩٣٨ بينما أبقى على جزء آخر من ذلك الحجر حتى يومنا هذا والذي يثير العجب أكثر مما سبق أن القانون الإنجليزي كان يبيح للزوج حتى نهاية القرن التاسع عشر بيع زوجته إن أراد ولم يتدخل القانون إلا لينظم الأمر لعدم المغالاة في السعر بل إن تعليم المرأة كان سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال كما يذكر الأستاذ العقاد الذي يقول :" لما كانت (إلياصابات بلاكويل) تتعلم في جامعة جينيف سنة ١٨٤٩-وهي أول طبيبة في العالم – كان النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها ويزوين ذيولهن من طريقها احتقاراً لها كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مساسها ولما اجتهد بعضهم في إقامة معهد يعلم النساء

الطب بمدينة فلاديلفيا الأمريكية أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد وتصادر كل من يستشير أولئك الأطباء ".

وإذا ما نظرنا إلى الحقوق السياسية للمرأة الأوروبية فإننا نجد أنها لم تحصل على حق التصويت في الانتخابات حتى القرن العشرين وعلى سبيل المثال فإنها حصلت عليه في إنجلترا على مرحلتين في عامي ١٩١٨و ١٩٢٨ و في أمريكا بعد تعديل الدستور في عام ١٩٢٠ و في فرنسا عام ١٩٤٤ و في سويسرا عام ١٩٧١ و إذا انتقلنا مرة أخرى من التاريخ إلى الجغرافيا وتأملنا أوضاع المرأة اليوم في إحدى أهم دول أوروبا كفرنسا فإننا نجد أحدث تقارير الحكومة الفرنسية بخصوص المرأة تحذر من العنف ضدها والذي يسجل بمعدل حالة قتل للمرأة على يد الزوج أو الصديق كل ثلاثة أيام حتى أن مرشحة المعارضة للرئاسة (سيجولين روايال) قررت أن تعتبر ذلك قضية دولة حال فوزها في الإنتخابات وتوليها الرئاسة ، وتعهدت بإصدار قوانين رادعة للحد من العنف ضد المرأة الذي ينتشر بصورة وبائية في فرنسا ، والطريف أن (روايال) التي تخطت جميع المرشحين و وصلت للإعادة أمام الرئيس الحالي (ساركوزي) كان أهم مقوماتها التي دفعت بها إلى المقدمة ، هو أنها تمثل بالنسبة للفرنسيين النموذج المثالي للعودة للأسرة والأمومة ، خاصة و أن لها أربعة أبناء ، أصغرهم طفل رضيع ، وهي تحيا حياة عائلية مستقرة منذ ما يزيد على الستة والعشرين عاماً مع أبنائها ووالدهم الذي يشغل منصب رئيس الحزب الإشتراكي الفرنسي ... وذلك دون زواج !!!

وأحوال المرأة اليوم في بقية دول الإتحاد الأوروبي و في أمريكا لا تقل غرابة عنها في فرنسا ، فعلى الرغم من الحرية المطلقة المتاحة لديهم إلا أن تقارير المنظمات الدولية تأتي صادمة ، و منها الإحصائيات الصادرة عن اليونيسيف و منظمة الصحة العالمية والتي تؤكد أن واحدة من كل خمس نساء في العالم ستقع ضحية للإغتصاب ، وأن النسبة الأعلى في العالم هي في أمريكا والغرب بينما تشير منظمة العفو الدولية ومنظمة (هيومان رايتس ووتش) إلى أن امرأة تغتصب كل ثانية على مستوى العالم ، وتتركز أيضاً النسب الأعلى في أمريكا والغرب ، وتحذر جميع المنظمات السابقة وغيرها من أن أعلى معدلات العنف ضد المرأة والإدمان والاكتئاب والانتحار موجودة في الغرب ويؤكد ذلك التقرير الأخير الصادر عن الأمم المتحدة بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة والذي ورد فيه :" أن العنف ضد النساء في العالم بأسره وأن امرأة من أصل ثلاث تتعرض للعنف ولو مرة واحدة في حياتها ، وأن ما بين ٤٠ % و ٧٠% من النساء اللواتي يتعرضن للقتل في استراليا وكندا وطائفة أخرى من البلدان الغربية إنما يقتلن على يد الزوج أو الصديق !! "

وتحذر منظمة الصحة العالمية من أن أعلى نسب الإصابة بالإيدز و الأمراض الجنسية الفتاكة الأخرى تتركز في الغرب وتكاد تنعدم لدى المسلمين ، أما منظمة العمل الدولية فتحذر من تراجع فرص المرأة في العمل والأجور ووجود تمييز ضدها في الغرب ، والمثير للدهشة أن الغرب الذي لا يفهم موقف الإسلام من عمل المرأة ، وينتقد حظره توليها الولاية العظمى لم يقدم تفسيراً لأن امرأة واحدة لم تصل إلى الآن لتولي منصب البابا في الفاتيكان أو منصب الأمين العام للأمم المتحدة أو حتى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية رغم أن هذا

متاح للمرأة لديهم بحسب زعمهم ، وكذلك فإن الغرب لم يقدم تفسيراً لتراجع فرص عمل المرأة وتقلدها للمناصب داخل لجان أهم المنظمات الدولية التي تنتقد موقف الإسلام من المرأة ونعني بها الأمم المتحدة ، والذي يؤكده ذلك التقرير الذي أعدته (سماء سليمان) رئيس وحدة دراسات المرأة بمركز الخليج للدراسات الإستراتيجية ، والذي تناول وضع المرأة في الأمم المتحدة وجاء فيه :" إن الأمم المتحدة حتى تضمن تمثيلاً عادلاً للمرأة في مواقع صنع القرار عبر العالم فإن عليها أن تبدأ بنفسها أولاً من خلال وضع آلية تضمن نسبة عادلة للمرأة في مواقع صنع القرار داخل لجانها فهناك ٩نساء فقط سفيرات لدى الأمم المتحدة ، أما في نظام عمل المنظمة ، فإن النساء يحظين فقط بـــ٩% من المناصب الإدارية العليا ، و ٢١% من المناصب الإدارية الأخرى "

وقد دفعني التقرير السابق لعقد مقارنة بسيطة بين ماوصلت إليه المرأة في القرن الحادي والعشرين ، داخل أهم المنظمات الدولية المنادية بحقوقها ، وبين ما حققته في ظل الإسلام قبل خمسة عشر قرناً مضت ، فأجريت إحصاء على كتاب صحيح البخاري وهو أصح كتب المسلمين بعد القرآن الكريم ، فوجدت أن عدد رواته (١٨٤) بينهم (٣١) امرأة بنسبة تفوق ١٦% ، و وجدت نسبة ما روته النساء من أحاديث في صحيح البخاري تقارب ١٢% من مجموع الأحاديث وهو مايعني أن المسلمين قد قبلوا تقلد المرأة لأرفع المناصب الدينية لديهم ، وهي البلاغ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، كما قبلوا أن يأخذوا تعاليم نبيهم نقلاً عن النساء وذلك في أصح كتبهم بعد القرآن الكريم ، وبنسب تفوق كثيراً أفضل ما أحرزته المرأة داخل أهم الهيئات والمنظمات الدولية في عصرنا الحالي . ورغم ذلك فإن تراجع تمثيل المرأة داخل الأمم المتحدة لا يعدو أن يكون شاهداً على عدم مصداقية من ينتقدون الإسلام ، بينما هناك أخطار حقيقية تهدد مستقبل المرأة والإنسانية في الغرب ، حيث تبدي كافة المنظمات والهيئات الدولية بالغ قلقها من تراجع تكوين الأسر وانخفاض معدلات المواليد في الغرب بصورة تهدد بعض الشعوب الغربية بالإنقراض و هو ما أشار إليه البابا بندكت السادس عشر مؤخراً من أن استمرار المعدلات الحالية للمواليد ، سيؤدي بثلاث على الأقل من دول الاتحاد الأوروبي (وذكر منها إيطاليا) –سيؤدي بها إلى أن يصبح سكانها الأصليون أقليات في بلادهم مع نهاية القرن الحالي و هو الأمر الذي دعا الإتحاد الأوروبي لبحث هذه المشكلة في اجتماع له عقد مؤخراً وخرج بتحذير شديد من أن استمرار المعدلات الحالية للمواليد بدول الإتحاد سيؤدي إلى خلل ديموجرافي في غضون العشرين عاماً المقبلة حيث ستزيد فئة المعمرين وتكاد تنعدم فئة الشباب والأطفال مما سيضطرهم إلى استقدام العمالة من خارج دول الإتحاد وهو ما دعاهم إلى إطلاق اسم (الإتحاد الهرم) على الإتحاد الأوروبي .

وغني عن البيان أن هذا الواقع المؤلم والمستقبل المظلم قد جاء نتيجة طبيعية للأعباء القاسية التي تتحملها المرأة في الغرب الذي لا يلزم الرجل بتحمل أي مسؤوليات تجاه المرأة تطبيقاً لمبدأ المساواة بين الجنسين ، وهو ما جعل المرأة مسؤولة مسؤولية تامة عن تحمل نفقات معيشتها حتى في حالة زواجها ، بل وبمجرد أن تتجاوز مرحلة المراهقة و هي في بيت أبيها ، إضافة إلى حرمانها من الميراث في معظم الأحيان ، بل ومطالبتها بدفع المهر

في حالة الزواج ، وفوق ذلك كله فالكنيسة لا تمنحها الحق في الطلاق من زوجها حتى و إن استحالت عشرتهما ، مما جعل إقدام المرأة على الزواج وسط كل هذه الظروف تصرفاً غير منطقي ومغامرة محفوفة بالمخاطر !!!

و إذا كانت حياة المرأة في الغرب في عصرنا الحالي محاطة بصور الشقاء و مهددة بخطر الفناء بهذه الصورة ، فلا يستقيم أن تعد النموذج والمثال الذي يسعى الناشطون في مجال حقوق المرأة لتحقيقه في بقية دول العالم ، بل ويمكننا القول بأن واقع المرأة في الغرب يلقي بظلال كثيفة من الشك وعدم المصداقية على مايقترحه الغرب من حلول لمشكلات المرأة لدى المسلمين ، إذ أن عجزهم عن حل مشكلاتهم يجعلهم أعجز عن فهم مشكلات غيرهم ، فضلاً عن حلها ، بل ويسلبهم عجزهم هذا الحق الذي منحوه لأنفسهم في تحديد حقوق المرأة وحقوق الإنسان في العالم ، و هو ما يؤكد ضرورة تبني الدعوة إلى إعادة تعريف مسألة حقوق المرأة وحقوق الإنسان دون أن يدعي أحد لا دولة ولا شعب ولا حضارة أن من حقه (أو حقها)احتكار الحكمة ومعرفة ما تمثل حقوق المرأة أو حقوق الإنسان في العالم ، خاصة ونحن نرى أن الأفكار الليبرالية الغربية بشأن حقوق الإنسان وحقوق المرأة لم تقدم إجابة عما تواجهه المرأة من أهوال في عالم اليوم ، وعلى ذلك فإن لكل الدول والشعوب و الحضارات الحق في تقديم المقترحات ووضع المعايير فضلاً عن الإسهام في صياغة مجموعة قيم دولية جديدة تمثل الأمل للمرأة والإنسانية في مستقبل أفضل .

---

* الدكتورة يمنى باحثة في عدد من القضايا وتعمل طبيبة أسنان .

المراجع

١) أحمد غنيم : المرأة والنشأة والتجريم – دراسة في المصادر العليا للأديان الثلاثة
٢) محمد علوان : تحرير المرأة بين الإسلام والغرب
٣) من هؤلاء العلماء د/ عبد العظيم المطعني في المشروع الإسلامي البديل لوثيقة بكين
٤) تفصيل ما أدخله بولس على المسيحية في كتاب د/ عبد العظيم المطعني : الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي
٥) د/ عبد العظيم المطعني : الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي
٦) محمود عبد الحميد محمد : حقوق المرأة بين الإسلام و الديانات الأخرى
٧) محمود عبد الحميد محمد : حقوق المرأة بين الإسلام و الديانات الأخرى
٨) محمد أحمد باشميل : غزوة مؤتة (من معارك الإسلام الفاصلة)
٩) محمد أحمد باشميل : العرب في الشام قبل الإسلام
١٠) الشيخ محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة
١١) محمد حسين هيكل : حياة محمد (بتصرف بسيط)
١٢) أبو الأعلى المودودي : الحجاب
١٣) د/ علي عبد الواحد وافي : حقوق الإنسان في الإسلام
١٤) د/ علي عبد الواحد وافي : حقوق الإنسان في الإسلام
١٥) أبو الأعلى المودودي : الحجاب
١٦) جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١٦
١٧) العنف ضد المرأة . دراسة بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على التمييز ضد المرأة . الشبكة الدولية (الإنترنت)
١٨) د/ علي عبد الواحد وافي : حقوق الإنسان في الإسلام
١٩) د/ عبد العظيم المطعني : المشروع الإسلامي البديل لوثيقة بكين
٢٠) الشيخ محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة
٢١) د/ علي عبد الواحد وافي : حقوق الإنسان في الإسلام
٢٢) محمد حسين هيكل : حياة محمد
٢٣) الشيخ محمد الغزالي : حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة
٢٤) محمد علوان : تحرير المرأة بين الإسلام والغرب
٢٥) عباس محمود العقاد : عبقرية محمد
٢٦) محمود عبد الحميد محمد : حقوق المرأة بين الإسلام و الديانات الأخرى
٢٧) محمود عبد الحميد محمد : حقوق المرأة بين الإسلام و الديانات الأخرى
٢٨) محمد علوان : تحرير المرأة بين الإسلام والغرب
٢٩) عباس محمود العقاد : عبقرية محمد
٣٠) نشر جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١٦
٣١) جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ٢٠٠٦/١١/٢٦

٣٢) تقرير لمركز الخليج للدراسات الإستراتجية . جريدة الأهرام المصرية
٣٣) دعوة يتبناها المفكر المعروف مهاتير محمد .

المال والاقتصاد

الطفرات النفطية وإدارة عوائد النفط
في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية

د . نبيل حشاد *

شهدت سوق النفط العالمية في السنوات الأخيرة طفرة نفطية غير مسبوقة حيث سجلت أسعار النفط أرقاماً قياسية لم تسجلها من قبل حيث شارف سعر البرميل على مستوى الـ ٨٠ دولار . وأصبحت الأسعار مستقرة عند مستوى يزيد عن ٦٠ دولار لفترة طويلة .

من المعروف أن أسعار النفط في الأسواق العالمية تتسم بخاصية التقلبات الحادة وذلك لأسباب عديدة تتمثل في الغالب في أسباب اقتصادية وسياسية ، خصوصاً أن منطقة الشرق الأوسط ، وهي أحد المناطق الهامة لإنتاج النفط ، شهدت في كثير من الأوقات حالات عدم استقرار والتي تنعكس سلباً على أسعار النفط . وتعتبر دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من أهم المناطق المنتجة والمصدرة للنفط في العالم ، وبالتالي فإن تأثر اقتصاديات دول المجلس بالتقلبات الحادة في أسعار النفط يؤثر تأثيراً كبيراً على اقتصاديات منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة والاقتصاديات العربية بصفة خاصة . وترجع المؤسسات الدولية والعربية النمو الاقتصادي الذي تشهده الدول العربية منذ عام ٢٠٠٣ إلى أسعار النفط المرتفعة . وهكذا تنفرد اقتصاديات دول مجلس التعاون الخليجي العربية بخصائص تميزها عن باقي دول منطقة الشرق الأوسط والدول العربية ، ومن أهم تلك الخصائص أنها تكوِّن التكتل الاقتصادي العربي الوحيد الذي قطع شوطاً كبيراً في سبيل تحقيق التكامل الاقتصادي ومن المتوقع أن يتوّج بإصدار عملة موحدة . بالإضافة إلى ذلك ، فإن دول المجلس تتميز بخاصية درجة الانفتاح الاقتصادي العالية على العالم الخارجي وخصوصاً في مجال التجارة الخارجية وكذلك تشجيع الاستثمارات الأجنبية . وتتميز أيضاً دول المجلس بخاصية كبر حجم الإنفاق الحكومي حيث يعتبر المكون الرئيس للطلب الكلي الفعال . ومن حسن الطالع أن مستويات أسعار النفط استمرت عند مستويات مرتفعة منذ عام ٢٠٠٣ وحتى الآن وذلك على الرغم من التذبذبات التي تحدث في سوق النفط إلا أن الاتجاه العام هو مستويات مرتفعة تعدت مئة دولار في الفترة الأخيرة .

وقد شهدت سوق النفط طفرات ثلاث هامة منذ عقد السبعينيات حتى الآن ، أدت إلى زيادة عوائد النفط والتي تمثل أهم مصادر الدخل الوطني . أدارت دول المجلس عوائد النفط في الطفرتين الأولتين بطريقة مختلفة عن الطفرة الثالثة والتي حدثت منذ عام ٢٠٠٣ حتى الآن .

وهذه الدراسة تحلل كيفية إدارة دول المجلس لعوائد النفط خلال الطفرات الثلاث ، باعتبار أن الإدارة السلمية لعوائد النفط وخصوصاً في أوقات الطفرات تؤدي إلى نتائج إيجابية هامة تنعكس على اقتصاديات دول المجلس .

لمحة عن التطورات الاقتصادية :

تتميز دول المجلس بخصائص متشابهة فيما بينها ، بينما تختلف هذه الخصائص عن خصائص اقتصاديات الدول العربية .

لعل من أهم الخصائص الاقتصادية لدول المجلس هي درجة الانفتاح المرتفعة بين دول المجلس والعالم الخارجي ، حيث تمثل الصادرات نسبة كبيرة من الناتج المحلي الإجمالي ، هذا بالإضافة إلى أن دول المجلس تشجع الاستثمار الأجنبي الطبيعي أو المادي بالإضافة إلى أنها قد اتخذت بعض الخطوات في سبيل الأجنبي المالي والذي يستثمر في الأصول المالية . تعتمد أيضاً دول المجلس على النفط باعتباره المصدر الرئيس للموازنات الحكومية ويعتبر الإنفاق الحكومي هو المحرك الرئيس للنشاط الاقتصادي الوطني .

وفي دراسة جيدة لفاستو وإقبال [١] عن توزيع النشاط الاقتصادي بدلاً من الاعتماد على النفط ، يجب أن نشير إلى أن ما تتضمنه الدراسة التي صدرت في عام ٢٠٠٣ ركزت على الوضع الاقتصادي قبل تلك الفترة ، ولكن يجب أن نشير هنا إلى أن اقتصاديات دول مجلس التعاون الخليجي قد شهدت تطورات إيجابية للغاية وارتفع دخلها بشكل غير مسبوق منذ عام ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٥ وذلك بسبب الزيادة الهائلة في أسعار النفط .

ومن الجدير بالذكر – أيضاً – أن دول المجلس قد حققت تطوراً ملحوظاً في مجال التكامل الاقتصادي حيث توصلت إلى مرحلة الاتحاد الجمركي و مرحلة التنسيق في مجال أسعار الصرف ، حيث أصبحت كل دول المجلس تربط عملتها بالدولار و هي خطوة هامة لتحقيق الاتحاد النقدي الكامل و الذي ستمثل بإصدار عملة موحدة .

وتشير الدراسة إلى أنه حدث تحول اقتصادي و اجتماعي غير مسبوق خلال العقود الثلاثة الماضية في الدول الأعضاء بمجلس التعاون لدول الخليج العربية _ و هي البحرين والكويت وعمان وقطر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة . فقد استخدمت هذه الدول عائداتها النفطية لتحديث البنية التحتية و خلق فرص العمل و تحسين المؤشرات الاجتماعية ، وتمكنت في نفس الوقت من تحقيق تراكم احتياطات رسمية والحفاظ على مستوى الدين الخارجي المنخفض نسبياً ومواصلة دورها كجهات مانحة مهمة للدول الفقيرة . وقد زاد متوسط العمر المتوقع في منطقة مجلس التعاون الخليجي بما يقرب من ١٠ سنوات حيث وصل إلى ٧٤ سنة خلال الفترة ١٩٨٠-٢٠٠٠م ، وارتفعت معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة بما يعادل ٢٠ نقطة مئوية فبلغت حوالي ٨٠% على امتداد الفترة ذاتها . وقد كان متوسط الدخل الفردي في دول مجلس التعاون الخليجي يقدر بنحو ١٢٠٠٠٠ دولار أمريكي في عام ٢٠٠٢ بينما وصل إجمالي الناتج المحلي الاسمي المجمع لهذه الدول إلى ما يقرب من ٣٤٠ بليون دولار أمريكي (أي أكثر من نصف إجمالي الناتج المحلي للدول العربية كلها). ونظراً لمستوى التضخم شديد الانخفاض ، بلغ متوسط النمو الاقتصادي الحقيقي الكلي ٤% سنويا خلال العقود الثلاثة الماضية ، مع اكتساب الأنشطة الاقتصادية غير النفطية أهمية متزايدة على نحو مطرد ، مما يعكس جهود دول المجلس لتنويع النشاط الاقتصادي . وإضافة إلى ذلك، تبلغ الاحتياطات الدولية لدى البنوك المركزية وحدها في

---

١) Fasano and Zubair Iqbal 2003. " GCC Countries from oil dependence to diversification". IMF.

بعض دول مجلس التعاون الخليجي ما يعادل حوالي ١٠ أشهر من الواردات . وقد تحقق هذا التقدم في ظل نظام سعر الصرف والتجارة المنفتح و التدفقات الرأسمالية الحرة ، إلى جانب الحدود المفتوحة أمام العمالة الأجنبية . وهكذا أصبحت منطقة مجلس التعاون الخليجي مركزاً مهماً للنمو الاقتصادي الإقليمي .

ومع توجيه السياسة النقدية نحو هدف الحفاظ على استقرار سعر الصرف والسيطرة على التضخم ، أصبحت سياسة المالية العامة هي الأداة الأساسية لتحقيق الأهداف الاقتصادية الأخرى ، بما في ذلك النمو وتوظيف العمالة وتحقيق العدالة الاقتصادية . لكن ما يقيد سياسة المالية العامة هو شدة اعتماد الإيرادات الحكومية على إيرادات الصادرات النفطية المتقلبة . وإضافة إلى ذلك ، تراجعت سياسة المرونة المالية العامة في العديد من هذه الدول بسبب فاتورة الأجر الكبيرة والمتزايدة ، و كذلك ضخامة مدفوعات خدمة الدين المحلي في بضع الحالات . وقد أدى استكمال مشروعات كبرى للبنية إلى تقليص دور الإنفاق الحكومي في تحقيق النمو غير النفطي . وتعني ضخامة حجم القطاع العام أن استثمارات القطاع الخاص ظلت منخفضة نسبياً كنسبة مئوية من إجمالي الناتج المحلي رغم تزايد معدلاتها .

وهناك تحديات جديدة آخذة في الظهور . فارتفاع النمو السكاني في العقدين الماضيين، مع تزايد مشاركة المرأة في سوق العمل ، يترجم الآن إلى نمو متسارع في حجم القوى العاملة الوطنية . وقد واصلت القوى العاملة المحلية دول مجلس التعاون الخليجي نموها على امتداد العقد الماضي بمعدل يزيد على ٤% سنويا _ وهي وتيرة يرجح أن تستمر في المستقبل المنظور ، لأن حوالي ثلث إلى نصف السكان في هذه الدول دون سن الخامسة عشر حالياً . ونظراً لمحدودية المجال المتاح لتوظيف مزيد من العمالة في القطاع الحكومي ، بدأت البطالة تزيد بين العمالة الوطنية في معظم دول المجلس . وتدرك الحكومات أهمية تحقيق تحسن مستمر في نمو القطاع غير النفطي إلى جانب الاستثمار في رأس المال البشري والإصلاحات المؤسسية من أجل تحقيق التكامل في سوق العمل و من ثم معالجة ضغوط البطالة الناشئة .

وتقوم دول مجلس التعاون الخليجي في الوقت الراهن بتنفيذ إصلاحات في السياسة الاقتصادية من اجل تسريع النمو في القطاع غير النفطي وإيجاد الوظائف الأزمة للقوى العاملة التي تشهد زيادة سريعة مستمرة ، مع الحد من التعرض لصدمات أسعار النفط . وهي تدرك الحاجة إلى التكيف مع التحديات الناجمة عن التكامل الإقليمي وعمولة الاقتصاد العالمي ، كما تدرك أن التصدي لهذه التحديات لن يخلو من المتاعب .

يسهم النفط بحوالي الثلث في إجمالي الناتج المحلي الكلي وبحوالي الثلاثة أرباع في الإيرادات الحكومية والصادرات السنوية . ويبلغ نصيب هذه الدول كمجموعة حوالي ٤٥% من الاحتياطات النفطية المثبتة في العالم و ٢٥% من صادرات النفط الخام (علماً بأن المملكة العربية السعودية هي أكبر بلد مصدر للنفط في العالم) ،وهي تملك ١٧% على الأقل من احتياطات الغاز الطبيعي المثبتة في العالم (وقد أصبحت قطر رابع أكبر بلد مصدر للغاز الطبيعي المسيل في العالم) . وتستخدم دول المجلس سعر الصرف كركيزة اسمية فعلية ، حيث تربط عملاته ارتباطاً ثابتا بالدولار الأمريكي (كانت مربوطة به بحكم الواقع

لعدة عقود ثم أصبحت مربوطة به رسمياً اعتباراً من أوائل عام ٢٠٠٣)، وذلك في ظل نوع من ترتيبات مجلس العملة في بعض الدول .

وتعتمد دول المجلس اعتماداً شديداً على حجم كبير من العمالة الوافدة ، مما يعكس صغر حجم القوى العاملة المحلية (و إن كانت في نمو سريع) ومحدودية المعروض المحلي من المهارات الملائمة . ويبلغ حجم العمالة الوافدة في معظم دول المجلس حالياً حوالي ثلاثة أرباع القوى العاملة الكلية . وتطبق هذه الدول منذ السبعينات سياسة انفتاحية لجذب العمالة الأجنبية ، الأمر الذي أسهم بدور مهم في توزيع قاعدة الإنتاج وتطوير قطاع الخدمات . ويعتبر توفر المهارات المستوردة بأجور تنافسية على المستوى الدولي عنصراً حاسماً في الحفاظ على انخفاض تكلفة الإنتاج . و معظم القوى العاملة الوطنية موظفة في القطاع الحكومي ، حيث توقعات الأجور أعلى مقارنة بأجور العمالة الأجنبية ، والمزايا غير الأجور ، والمهارات .

و نظراً لأن الثروة الهيدروكربونية تؤول بالكامل إلى الحكومة ، فإن جميع دول المجلس تطبق نظاماً واسع النطاق للرعاية الاجتماعية . وتقدم الخدمات الحكومية في كثير من هذه الدول بالمجان أو بأسعار مدعومة شديدة الانخفاض ، لاسيما المياه والكهرباء ، بينما تتميز الضرائب غير النفطية بالانخفاض حيث تتألف في الأساس من الضريبة على دخل الشركات الأجنبية _ إلا في عمان حيث تخضع الشركات المحلية للضريبة أيضاً . وقد سجل بعض هذه الدول عجزاً كلياً في المالية العامة بمرور السنين ، الأمر الذي يرجع إلى تقلب أسعار النفط العالمية والارتفاع النسبي لمستويات النفقات الجارية . و في غضون ذلك حدثت زيادة كبيرة في الدَّيْن الحكومي المحلي في بضعة دول . وتتسم جميع دول المجلس بأجهزتها المصرفية القوية والخاضعة لمستوى جيد من الرقابة . فالبنوك تتمتع بمستوى جيد من السمعة والربحية كما تمت تقوية أطرها الرقابية التي تتوافق إلى حد كبير مع المعايير والمواثيق الدولية . وإضافة إلى ذلك اتخذت دول المجلس بالتدريج عدداً من الخطوات صوب تطبيق سياسة نقدية قائمة على السوق , و إن كانت الأدوات المباشرة (كالحدود القصوى لأسعار الفائدة والائتمان) لا تزال تؤدي دوراً في بعض دول المجلس .

ونشير فيما يلي إلى نمو الناتج المحلي الإجمالي في دول المجلس بشقيه الناتج النفطي والناتج غير النفطي بالإضافة إلى إنتاج وصادرات النفط وميزان الحساب الجاري باعتبارها أهم المؤشرات المتعلقة بالنفط .

توضح الجداول من (١) إلى (٤) إلى المؤشرات السابق الإشارة إليها ، حيث جميع المؤشرات بصورة إجمالية إلى تزايد معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي في فترة الطفرة النفطية الثالثة والتي بدأت في عام ٢٠٠٣ إلى الآن . وتشير بيانات صندوق النقد الدولي إلى تزايد معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي بشقيه النفطي وغير النفطي قد ازدادت بسبب زيادة أسعار النفط والذي أثر إيجابياً على الصادرات وانعكس إيجابياً على الحساب الجاري وأدى إلى تراكم المزيد من الاحتياطيات الرسمية والتي تمثل عوائد النفط أهم مصادرها .

جدول (١) نمو الناتج المحلي الإجمالي

(نسبة التغير السنوي)

دول المجلس	المتوسط ١٩٩٨ – ٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	المتوقع ٢٠٠٧
البحرين	٤,٨	٧,٢	٥,٦	٧,٨	٧,٧	٦,٩
الكويت	٨,٢	١٦,٥	١٠,٥	١٠	٥	٣,٥
عمان	٣,٦	٢	٥,٤	٥,٨	٥,٩	٦
قطر	٧,١	٣,٥	٢٠,٨	٦,١	٨,٨	٨
السعودية	١,٥	٧,٧	٥,٣	٦,٦	٤,٦	٤,٨
الإمارات	٤	١١,٩	٩,٧	٨,٥	٩,٧	٨,٢

المصدر : **IMF (world Economic and Financial Surveys: Regional Economic Outlook), May 2007**

جدول (٢) نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي النفطي وغير النفطي
بالنسبة للدول المصدرة للبترول
(نسبة التغير السنوي)

	المتوسط ١٩٩٨ – ٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	المتوقع ٢٠٠٧
الناتج المحلي الإجمالي غير النفطي						
دول المجلس						
البحرين	٤,٤	٨,٣	٨,٨	١٠,٢	٨,٧	٧,٦
الكويت	٧,٥	١٣,٩	١٢,٥	٨,٩	٧,٢	٧,٦
عمان	٤,٥	٦,٥	٨,٦	٦,٩	٧,٢	٧,٢
قطر	٣,٧	٧,٣	٢٤,٦	١٣,١	٦,٣	٥,٣
السعودية	٣,٢	٣,٧	٤,٦	٦,٨	٧,٣	٦,٩
الإمارات	٧	١١,٢	١٢,٦	١١	١١,١	١٠,١
الناتج المحلي الإجمالي النفطي						
دول المجلس						
البحرين	٧,٣	١,١	-١١,٥	- ٨,٤	٠,٣	٠,٣
الكويت	١٠,٦	١٩,٨	٨,١	١١,٤	٢,٣	- ١,٦
عمان	٢,١	- ٦,٨	- ١,٨	٢,٩	٢,٦	٢,٧
قطر	١٠,٢	٠,٨	١٨	٠,٦	١١,١	١٠,٣
السعودية	- ١,٨	١٧,٢	٦,٧	٥,٩	-١,١	٠,٠
الإمارات	- ١,٣	١٣,٦	٢,٩	٢,١	٦	٢,٥

المصدر : **IMF (world Economic and Financial Surveys: Regional Economic Outlook), May 2007**

جدول (٣) إنتاج وصادرات النفط الخام
(ملايين البراميل يومياً)

	المتوسط ١٩٩٨ – ٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	المتوقع ٢٠٠٧
الإنتاج						
دول المجلس						
البحرين	٠,٢	٠,٢	٠,٢	٠,٢	٠,٢	٢,٢
الكويت	١,٩	٢,١	٢,٣	٢,٦	٢,٦	٢,٦
عمان	٠,٩	٠,٨	٠,٨	٠,٨	٠,٧	٠,٧
قطر	٠,٧	٠,٧	٠,٨	٠,٨	٠,٨	٠,٩
السعودية	٧,٨	٨,٤	٨,٩	٩٠,٤	٩,٣	٩,٣
الإمارات	٢,٤	٢,٦	٢,٧	٢,٧	٢,٨	٢,٩
الصادرات						
دول المجلس						
البحرين	٠,٢	٠,٢	٠,٢	٠,١	٠,١	٠,١
الكويت	١,١	١,٢	١,٤	١,٧	١,٧	١,٦
عمان	٠,٩	٠,٨	٠,٧	٠,٧	٠,٦	٠,٦
قطر	٠,٥	٠,٥	٠,٦	٠,٦	٠,٦	٠,٧
السعودية	٥,٩	٦,٥	٦,٨	٧,٢	٧	٦,٨
الإمارات	٢,١	٢,٢	٢,٣	٢,٣	٢,٥	٢,٥

المصدر : **IMF (world Economic and Financial Surveys: Regional Economic Outlook), May 2007**

جدول (٤) ميزان الحساب الجاري
(ببلايين الدولارات الأمريكية)

	المتوسط ١٩٩٨ – ٢٠٠٢	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	القيمة التقديرية ٢٠٠٦	القيمة التقديرية ٢٠٠٧
دول المجلس							
البحرين	٠,٠	٠,٠	٠,٢	٠,٤	١,٦	٣,٣	٣,٤
الكويت	٦,٩	٤,٣	٩,٤	١٧,٣	٣٢,٣	٤٨,٨	٥٢,٠
عمان	٠,٥	١,٣	٠,٩	٠,٤	٤,٤	٧,٥	٨,٣
قطر	٢,٠	٣,٨	٥,٨	٧,٦	٧,١	٢٢,٠	٢٤,٦
السعودية	٤,٦	١١,٩	٢٨,١	٥٢,٠	٩٠,٨	١٢٠,٢	١٢٨,٩
الإمارات	٤,٧	٢,٠	٧,١	١٠,٦	١٩,١	٣٧,٢	٤١,٧

المصدر : **IMF (world Economic and Financial Surveys: Regional Economic Outlook), May 2007**

إدارة عوائد النفط :

مرت دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بتجارب سابقة وتجارب حالية في مجال إدارة عوائد النفط ولكن التجارب السابقة في منتصف ونهاية السبعينيات من القرن الماضي شهدت بعض السلبيات ، وقد استفادت منها تلك الدول بدرجة معقولة . ونشير فيما يلي إلى كيفية إدارة عوائد النفط في فترات الصدمات السابقة ثم بعد ذلك إدارة عوائد النفط في الفترة الحالية .

إدارة عوائد النفط خلال الطفرات السابقة :

تولدت عوائد كبيرة جداً لدول المجلس خلال ارتفاع أسعار النفط في عام ١٩٧٤ نتيجة قطع إمدادات النفط العربية خلال حرب عام ١٩٧٣ المجيدة ، ولكن تم إنفاقها بسرعة كبيرة، وبالرغم من كثرة تلك العوائد إلا أن الميزانيات المالية تقلصت . وكذلك كان الحال بالنسبة لارتفاع الأسعار الذي حدث في عام ١٩٧٩ حيث إن العوائد الكبيرة تم إنفاقها بصورة كبيرة أيضاً .

نتيجة للثورة الإيرانية في ١٩٧٩ ، حدث ارتفاع جديد في أسعار النفط . وتشير إحصائيات البنك الدولي إلى أنه كان هناك فائض في الميزانية العامة لدول المجلس بمتوسط ٣٦ % من الناتج المحلي الإجمالي في ١٩٨٠ وتطاير ذلك الفائض في سنوات قليلة بل وكان هناك عجز في الميزانية وصل إلى ٢% عام ١٩٨٣ .

في دراسة شيقة لتتبع استخدام عوائد النفط من خلال الطفرات السابقة[٢] ، أشارت الدراسة إلى أنه قد حدثت ذروتان رئيستان للفائض المالي الخاص بدول منظمة الأوبك ، الأولى في ١٩٧٣ – ١٩٧٤م والثانية في ١٩٧٩ – ١٩٨٠م . جاءت كلتاهما كنتيجة

٢) Goran Bergendahl. 1984. " The management of OPEC's financial surplus", Oxford institute for energy studies.

للزيادات الكبيرة التي حدثت في أسعار النفط ، وقد أدتا إلى حدوث انخفاض في الطلب ، تبعه انخفاض في مقدار الفائض المولد .

قامت معظم الدراسات المتعلقة بإدارة الفوائض المالية بتحليل سلوك دول منظمة الأوبك أو الدول المصدرة للنفط ككل . يمكننا في وجود هذا المنهج أن نتتبع الاتجاهات العامة مثل المبالغ التي تم تخصيصها للاستثمارات الحقيقية والمالية أو المبالغ التي تم إنفاقها على المدى البعيد مقابل الاستثمارات قصيرة الأجل . مع ذلك ، قد يكون من الصعب تحليل ما إذا كان قد تم اختيار محافظ السندات المالية المختلفة على نحو كفؤ أم لا .

في ضوء ارتفاع أسعار النفط الأول الذي حدث في الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٤ ظهرت الفوائض المالية الرئيسة لدول منظمة الأوبك والتي تشارك فيها دول المجلس بنسبة كبيرة جداً من إنتاجها . في ذلك الوقت كانت معظم دول منظمة الأوبك ذات قدرة استيعاب منخفضة وهذا يعني أنه لا يمكن أن يتم استغلال الأموال الفائضة محلياً بشكل فوري بل يجب أن يتم وضعها في سوق رأس المال الدولي ، ونتيجة لذلك فقد تم وضع نصف الفوائض المالية تقريباً في الحسابات المصرفية في أوربا الغربية . وانخفض إجمالي فائض دول منظمة الأوبك في فترة تعديل سوق النفط الأولى (١٩٧٥ إلى ١٩٧٨م) وذلك نتيجة لانخفاض العوائد النفطية وتسارع الإنفاق على الاستهلاك والاستثمار المحليين . كما انخفض الفائض المالي وتحول إلى عجز بحلول عام ١٩٧٨ . مع ذلك ، لقد أثرت تلك العملية بشكل رئيس على الودائع القصيرة الأجل كما أنها أصابت دول منظمة الأوبك الصغيرة بشدة .

وقد حدث تصاعد في أسعار النفط للمرة الثانية في عام ١٩٧٩ – ١٩٨٠م وذلك نتيجة الارتفاع المفاجئ الذي حدث في الفوائض المالية المتاحة للاستثمار الأجنبي . وقد تم وضع الجزء الرئيس من هذا الفائض في ودائع مصرفية . وحدث في بعض الدول ذات القدرة الاستيعابية المرتفعة عجز في حسابها الجاري . مع ذلك ، تجمع الجزء الرئيسي من الفوائض لدى فترة تعديل سوق النفط الثانية منذ عام ١٩٨١م إلى حدوث انخفاض كبير في الاستهلاك العالمي للنفط وفقدان دول الأوبك لحوالي ٢٥ % من نصيبها في السوق . في ذلك الوقت حدث عجز كبير في الحساب الجاري ليس فقط في الدول ذات القدرة الاستيعابية المرتفعة ولكن أيضاً في الدول ذات القدرة الاستيعابية المتوسطة . علاوة على ذلك ، لم يحدث الانخفاض في الودائع القصيرة الأجل لكنه حدث في بعض الإيداعات الطويلة الأجل باستثناء الإيداعات الموجودة في الولايات المتحدة .

قام بنك إنجلترا [٣] بتحليل انتشار الفوائض المالية التي حصلت عليها الدول المصدرة للنفط . واستندت الدراسة إلى إحصائيات صندوق النقد الدولي حول الفوائض المالية ومعلومات من البنوك المركزية في دول أخرى ، كما استند أيضاً على معلومات من بنك التسويات الدولية حول التغير الفعلي في مستويات ودائع البنك .

لقد أوضحت إحصائيات الانتشار أن الدول المصدرة للنفط استخدمت الأسواق الأوربية على نطاق واسع ، ويعتبر ذلك مسار طبيعي لوضع الفوائض المالية في هذه الحسابات لفترة

---

٣) انظر Bank of England Quarterly Bulletin, June 1980, pp 158 – 159 .

محدودة من الوقت حتى يتم تحديد الاتجاهات النهائية لهذه الفوائض . مع ذلك ، في أواخر السبعينات عندما تركزت هذه الفوائض في عدد قليل من الدول ذات القدرة الاستيعابية المنخفضة وذات سيولة مرتفعة بالفعل ، ظهر اتجاه نحو زيادة استخدام بدائل استثمار طويلة الأجل . لقد تم وضع نسبة كبيرة من هذه الفوائض في الولايات المتحدة .

وكانت نتائج الدراسة كما يلي :

أ – أدت فترة ازدهار سعر النفط الأولى (١٩٧٣ – ١٩٧٤م) إلى تركز كبير للاستثمارات المالية في ودائع البنوك والسندات الحكومية القصيرة الأجل . لقد أشار التحليل الذي قام به بنك إنجلترا إلى أن معظم ودائع البنوك قامت بإيداعها إيران ، ونيجيريا ، والسعودية . كما أن معظم السندات الحكومية والاستثمارات طويلة الأجل في الدول النامية تمت من قبل الكويت والسعودية .

ب – أدت فترة تعديل سوق النفط الأولى (١٩٧٥ – ١٩٧٨م) إلى ظهور اتجاه كبير نحو رؤوس الأموال في سندات وأذون خزانة أمريكية فضلاً عن وضعها في استثمارات مالية أخرى (سندات ، أسهم ، إلخ) . لقد تم وضع هذه الإيداعات الطويلة الأجل بشكل رئيس من قبل إيران ، والكويت ، وليبيا ، والسعودية ، والإمارات . وضعت كل من إيران ، والعراق ، والكويت ، وقطر ، والسعودية ، والإمارات ودائع قصيرة الأجل بشكل رئيس في السوق الأوربي أو في ودائع خارج الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة .

ج – ولدت فترة ازدهار أسعار النفط الثانية (١٩٧٩ – ١٩٨٠م) تدفق مفاجئ لرأس المال إلى ودائع البنوك قصيرة الأجل . هناك عامل واحد وراء هذا الاختيار هو الارتفاع الكبير الذي حدث في أسعار الفائدة في تلك الفترة نتيجة لطلب الدول المستهلكة للنفط للتمويل من البنوك .

على الرغم من هذا النطاق الضخم للإيداعات الذي تدفق إلى السوق الأوربية بصورة لم يسبق لها مثيل ، إلا أن دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية استمرت في وضع كميات كبيرة من رؤوس الأموال في أسواق الأموال طويلة الأجل . لقد ذهب بعض من الإيداعات إلى سندات وأذون الخزانة الأمريكية . ولكن من الواضح إلى حد كبير أن معظم هذه الإيداعات ذهب إلى استثمارات المحفظة في (أسهم ، وسندات ، وعقارات ، الخ) .

د – يبدو أن فترة طفرة النفط الثانية (١٩٨١ – ١٩٨٣م) كان لها تأثير محدود على سوق رأس المال القصير الأجل ، حيث إن صافي القيمة الداخلة من قبل دول الأوبك انتهت عند حوالي ٢ – ٣ بليون دولار . مع ذلك ، يعد هذا الرقم مضللاً بعض الشيء نظراً لأنه لم يسبق أن كان هناك مثل هذا التغير السريع . في نفس الوقت ، عام ١٩٨١م ، يجب أن تكون السعودية قد قامت بزيادة ودائع البنوك بحوالي ٢٠ بليون دولار ، كما يجب أيضاً أن تكون ودائع كلاً من إيران ، والعراق ، ونيجيريا انخفضت بحوالي ٢٢ بليون دولار على الأقل .

لا بد أن هذه الأنشطة لها نتائج كبيرة على الأسواق المالية الدولية ، من ناحية الحاجة إلى عدد كبير من التحويلات فيما بين البنوك . يمكن إيجاد بعض مؤشرات لذلك في تقرير بنك التسويات الدولية الذي أشار إلى حدوث ارتفاع بحوالي ٨ بليون دولار في الودائع في البنوك الأوربية . وفي نفس الوقت الذي حدث فيه انخفاض بحوالي ٧ بليون دولار في ودائع البنوك الأخرى . يمكن الحصول على اتجاهات مماثلة من تقرير بنك التسويات الدولية حول التصنيف في المراكز الخارجية الخاص بالبنوك خلال الستة أشهر الأولى من عام ١٩٨١م ، قامت دول المجلس بزيادة صافي مراكزها في هذه البنوك فقط بحوالي ٨ بليون دولار ، بينما في نفس الأثناء قامت إيران والعراق بخفض صافي مراكزها بحوالي ٥,٤ بليون دولار . علاوة على ذلك ، كانت هناك كمية كبيرة من السيولة محتفظ بها في شكل أصول بعملة أجنبية.

تشير الدراسة إلى أن دول المجلس استثمرت نحو ٤٦ بليون دولار في عام ١٩٨١م . تضمنت هذه الاستثمارات حوالي ٨ بليون دولار في أذون خزانة أمريكية ، ٥ بليون دولار في أسهم أمريكية ، عقارات إلخ . كما تضمنت ١٩ بليون دولار في استثمارات خارج الولايات المتحدة والمملكة المتحدة و ٧ بليون دولار في الدول النامية .

عملية تثبيت العوائد على النفط في دول المجلس :

يمكن القول إن اقتصاد دول المجلس هو اقتصاد عرضة للتقلبات وذلك لاعتماده بشكل كبير على تصدير النفط والذي تتغير أسعاره بصفة مستمرة مما يؤدي إلى عدم استقرار الموازنات المالية والحسابات الخارجية .

ولذلك نجد أن العديد من دول المنطقة اتجهت إلى توظيف عوائد النفط إما للتعامل مع الطبيعة غير المستقرة للعوائد الناتجة عن النفط والغاز الطبيعي أو القيام بادخار تلك العوائد للأجيال القادمة ، ومثال ذلك في الكويت والتي قامت بإنشاء صندوق لصالح الأجيال القادمة في عام ١٩٧٦م. " وفيه قد تم ادخار نحو ٦٥ مليار دولار في نهاية ٢٠٠٣ أو ما يساوي ١٥٥ % من الناتج المحلي الإجمالي للكويت في ٢٠٠٣ " .

اتجهت دول المجلس إلى عملية الاحتفاظ بالعوائد للأجيال القادمة وذلك للتغلب على طبيعة النفط غير المتجددة وذلك عن طريق تبسيط تدفقات الإنفاق في الميزانية ، بمعنى أن يتم الادخار من خلال فترات ارتفاع الأسعار والانتعاش في سوق النفط وعدم الادخار في حالة الركود . ويتطلب الوصول إلى ذلك الهدف وجود قرارات وسياسات مالية إضافية .

والجدير بالذكر أنه مقارنة بالطفرات السابقة ، فإن معظم العوائد من النفط قد تم ادخارها مما أدى إلى حدوث توازنات مالية وتوازنات خارجية . وذلك بالإضافة إلى تحقيق نسب مرتفعة من الاحتياطيات الرسمية من العملات الأجنبية .

استخدام عوائد النفط حالياً :

صدر تقرير لصندوق النقد الدولي[٤] يتضمن آخر التطورات في استخدام عوائد النفط يشير إلى أنه في ظل الاعتقاد المتزايد بأن زيادة أسعار النفط – ومن ثم عوائده – سوف تستمر . بدأت كثير من الدول المصدرة للنفط في الشرق الأوسط ووسط آسيا ، والتي تنتج دول المجلس معظم إنتاجها في زيادة سرعة إنفاقها ، كما بدأت في وضع مجموعة من البرامج من أجل تحسين البنية التحتية الاجتماعية والمادية .

لقد استمرت أسعار النفط في الارتفاع في النصف الأول من عام ٢٠٠٦م ومن المتوقع أن يكون سعر البرميل لهذا العام ٦٩ دولار . ويمثل ذلك زيادة في البرميل بنحو ١٦ دولاراً عن العام الذي قبله ، وحوالي ٤٠ دولار من السعر المتوسط عام ٢٠٠٢ . نتيجة لذلك ، تتزايد العوائد النفطية أيضاً عبر المنطقة ، وبنهاية عام ٢٠٠٦ ، ومن المتوقع أن تكون الزيادة التراكمية في عوائد صادرات النفط منذ عام ٢٠٠٢ ، بالنسبة للدول المصدرة للنفط ، حوالي ما يزيد عن ٨٨٠ مليار دولار ، سوف يعود منها ٦٧٠ مليار على الحكومات القومية في شكل عوائد مالية .

وقد تزايد الإنفاق أيضاً ، لكن زيادته لا تعادل زيادة الدخل حيث إنها أقل منه . ونتيجة لذلك ، تزايد فائض الحساب الجاري . وبنهاية هذا العام ، من المتوقع أن تكون الزيادة التراكمية في الفائض منذ عام ٢٠٠٢ ، بالنسبة لجميع مصدري المنطقة نحو ٥٩٠ مليار دولار . ويمثل ذلك حوالي ثلثي عوائد التصدير الإضافية ، وتعادل هذه النسبة هي نفس نسبة العام الماضي . وبعبارة أخرى ، لم تتغير معجلات الادخار العامة بالنسبة للمنطقة ككل . وبالمثل سوف يمثل الفائض المالي (Fiscal Surplus) للمنطقة محو ٥٢٠ مليار دولار بنهاية عام ٢٠٠٦م ويعادل ذلك نحو ثلاثة أرباع العوائد المالية الإضافية .

تزايدت سرعة الإنفاق عام ٢٠٠٦م ، على الأقل فيما يتعلق بالجانب المالي . ومن المتوقع أن يتناقص المعدل الكلي للزيادة في الفائض المالي الإجمالي إلى الزيادة في عوائد النفط المالية – الادخار المالي المتزايد من دخل النفط – عن ما يزيد عن ٩٠ % في العام الماضي إلى حوالي ٦٠ % هذا العام . وبما أن التقدير الخاص بعام ٢٠٠٦م يعتمد على خطط الموازنة المعلنة، فإنه لا يوضح الزيادة الفعلية في الإنفاق لهذا العام . وبذلك ، من المحتمل أن ينخفض معدل الادخار بشكل ملحوظ ويعد ذلك دلالة على زيادة سرعة إنفاق العوائد النفطية عبر المنطقة .

وعلى العكس من ذلك ، توضح الصورة من الجانب الخارجي معدل ادخار متزايد بشكل ثابت بالنسبة للمنطقة ككل . وبينما أدت الفوائض الخارجية إلى زيادة الاحتياطيات الرسمية ، هناك نسبة كبيرة تأخذ شكل أصول خارجية تمتلكها هيئات غير البنوك المركزية مثل شركات النفط القومية أو صناديق الاستثمار أو صناديق النفط . في دول مجلس التعاون

---

٤) IMF 2006. " Regional Economic Outlook: Middle East and Central Asia". September 2006. الأرقام الواردة بالتقرير تمثل دول الشرق الأوسط وآسيا الوسطى ، ولكن يلاحظ أن الدول العربية المصدرة للنفط لها غالبية صادرات النفط والإيرادات .

الخليجي على سبيل المثال ، تزايدت الاحتياطيات الرسمية بنحو ١٥٠ مليار دولار منذ عام ٢٠٠٢م ، ويمثل ذلك ما يزيد عن ريع الفائض الخارجي التراكمي أثناء هذه الفترة .

ومع الزيادة المستمرة في دخل النفط ، تم القيام بمجموعة من الاستثمارات الكبرى من أجل التعامل مع الاحتياجات الاجتماعية الملحة ومع احتياجات البنية الأساسية . تمثل خطوط دول المجلس للفترة ما بين عام ٢٠٠٦م إلى عام ٢٠١٠م ما يزيد على ٧٠٠ مليار دولار ، ما يعادل ٨٨% من فائض الحساب التراكمي المتوقع أثناء هذه الفترة . وسوف تشمل هذه الخطط – بنسبة متفاوتة – مشروعات قطاع النفط والغاز (الذي تمولها شركات النفط الوطنية) ، والبنية التحتية (في ظل اتفاقيات الشراكة العامة والخاصة) ، والعقارات (التي يمولها القطاع الخاص) . ومن المتوقع أن تعمل هذه البرامج على تشجيع نمو هذه الدول وزيادة فرص العمل بها ، كما ستساعد مشروعات النفط على زيادة إنتاج النفط وقدرة تكريره وعلى تعزيز الاستقرار العالمي والاستقرار في سوق النفط .

إدارة عوائد النفط والإصلاح الهيكلي :

غيرت دول المجلس طريقة تفكيرها من ناحية إنفاق عوائد النفط عما كانت تفعله في السابق ، فقد أدركت حاجتها الماسة إلى إيجاد فرص عمل جديدة وتنويع أنشطتها الاقتصادية وذلك عن طريق الإصلاحات الهيكلية فنجد أن معظم الدول العربية تتجه في الوقت الحالي إلى الانفتاح واقتصاديات السوق وتقليل سيطرة الدولة على الاقتصاد .

ولكن نجد أن دول المجلس وهي أكثر الدول المنتجة والمصدرة للنفط بغزارة من الصعب عليها الاتجاه نحو أنشطة اقتصادية أخرى ، وذلك لأنه لا يوجد أي نشاط آخر ينتج العوائد الكبيرة التي ينتجها النفط . ولكن بالرغم من ذلك اتجهت تلك الدول إلى تنويع اقتصادها والاتجاه نحو الاقتصاد الخدمي كما اتجهت أيضاً لفتح أسواقها بغرض الدخول إلى الأسواق العالمية .

ومن الخدمات التي وفرتها دول المنطقة الخدمات السياحية وخدمات الموانئ والنقل وتوفير تلك الخدمات سوف يفتح الأسواق العالمية أمام دول المنطقة مما سوف يوفر العديد من المزايا ومنها توفير البضائع ذات الجودة العالية والأسعار المنخفضة .

وفي دراسة عن كيفية استخدام عوائد النفط وتتبعها ، تشير مجلة[٥] Economist إلى أن عوائد النفط في الحقيقة ، يمكن أن يتم إنفاقها أو ادخارها . في أي من الحالين ، يمكن إعادة دوران جزء كبير من الأموال إلى الاقتصاديات المستهلكة للنفط ، ومن ثم تخفيف تأثير ارتفاع أسعار النفط عليها . إذا قام مصدرو النفط بإنفاق العائدات الكبيرة التي حصلوا عليها فهذا يعني أنهم سيقومون بزيادة استيرادهم من الدول الأخرى مما يساعد على المحافظة على عدم تغيير الطلب العالمي .

٥) The Economist 2005. " Recycling the petrodollars", November 10, 2005 .

يعتقد صندوق النقد الدولي أن الدول المصدرة للنفط في منطقة الشرق الأوسط لديها قدرة (Capacity) لإنفاق الدولارات النفطية داخلياً (أي داخل الدول نفسها ، أكبر من قدرتها في السبعينيات والثمانينات نظراً إلى التزايد السريع لعدد سكانها واحتياج بنيتها الأساسية إلى التحسين بعد سنوات عديدة تضاءلت فيها إيرادات الحكومة . إن ارتفاع البطالة يعني وجود ضغط اجتماعي لزيادة الإنفاق على كل من التعليم والصحة ولوضع مخططات لتشجيع القطاع الخاص بحيث يتمكن من توفير فرص عمل لكثير من العاطلين .

الخاتمة :

يتضح مما سبق أن اقتصاديات دول المجلس تعتمد بصورة كبيرة على عوائد النفط ، وحيث إن أسعار النفط في السوق العالمية تختص بخاصية عدم الاستقرار والتقلبات الحادة ، فإن دول المجلس مطالبة بأن تستغل الفترات التي ترتفع فيها أسعار النفط الاستغلال الأمثل . شهدت دول المجلس ثلاث طفرات نفطية ، اختلفت طريقة إدارتها لعوائد النفط في الطفرة الثالثة عن الطفرتين الأولتين حيث تميزت إدارة عوائد النفط في الطفرة الثالثة بدرجة عالية من الرشادة وذلك لتحقيق التنمية المستدامة في دول المجلس وعدم إنفاق جميع العوائد في فترة الطفرة ولكن كان هناك توجهاً هاماً لزيادة الاستثمارات الخاصة بالأجيال التالية وبما يعمل على تعظيم قيمة تلك العوائد .

---

* الدكتور نبيل عنتر حشاد خبير مصرفي معروف ، ويملك مؤسسة مصرفية كبيرة يقوم بإدارتها .

المراجع

١) حشاد نبيل . ٢٠٠٦م " العولمة ومستقبل الاقتصاد العربي " – دار إيجي مصر –القاهرة – ٢٠٠٦م .

٢) صندوق النقد العربي ٢٠٠٣م " المؤسسات المالية العربية وتمويل الاستثمار في العالم العربي "

٣) صندوق النقد العربي ٢٠٠٠م " التقرير الاقتصادي العربي الموحد "

4) Bank of England 1980 " Quarterly Bulletin, Jan 1980, pp 158 – 159 .

5) Bergendahl, Goran 1984. " The management of OPEC's financial surplus", Oxford institute for energy studies.

6) The Economist. 2005. " Recycling the Petrodollars", November 10, 2005.

7) Hensley, Mathew. 2006. " Avoiding the curse of oil: Stategies to improve governance and finance". Public Policy Information Series – April 2006.

8) IMF, 2006. " world Economic and Financial Surveys: Regional Economic Outlook". May, 2006

9) IMF, 2006. "Regional Economic Outlook: Middle East and Central Asia". September 2006.

10) IMF, 2005, " world Economic and Financial Surveys: Regional Economic Outlook".

11) IMF, 2003 "GCC Countries from oil dependence to diversification", Ugo Fasano and Zubair Iqbal 2003 .

12) Krueger, Anne O. 2006 . " Remarks at the G8 MENA meeting", Sharm El-Sheikh, Egypt. May 21, 2006.

13) Word Bank. 2005. "Middle East and North Africa: Economic Development and Prospects".

شخصية العدد

العالم يكرم سمو رئيس وزراء مملكة البحرين

مبارك بن سعد العطوي *

بعد عطاء مستمر وقيادة حكيمة ومسيرة بناء فاقت كل الإمكانات والتوقعات في خدمة تربو على الثلاثين عاماً .. قادها باقتدار وإخلاص ابن البحرين البار صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء قائد مسيرة التحديث في مملكة البحرين جنباً إلى جانب مع شقيقه الراحل صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد آنذاك ، وبمؤازرة كريمة وسامية لصاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة حفظه الله ورعاه عندما كان جلالته ولياً للعهد .

وضع أسس الدولة الحديثة العصرية – معتمداً بعد الله تعالى – على عطاء وكفاءة الإنسان البحريني في تشييدها جديدة المعالم قوية الأسس والأركان منفتحة على العالم، ساهمت بكل فعالية وبكل تأثر في مجمل الحركات التنموية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية طوال العقود الخمسة الماضية بصورة مباشرة وغير مباشرة فقد كان لها السبق والريادة في مجالات كثيرة ومختلفة كان يقودها بكل كفاءة وبراعة قائد التحديث سمو رئيس الوزراء ، ويحمل بكل شجاعة وحنكة شؤون إدارة الدولة وتنميتها وتطوير هيئاتها ، ومتابعة كل جديد ومميز . يدفع بكل ثقة في هذا الوطن للصفوف الأمامية للمشاركة في هذه النقلة النوعية المميزة وكما كان سموه متميزاً فقد اختار من حوله من القيادات الوطنية المميزة والمبدعة ، لترسم مع سموه هيكل المملكة الجديد ، يقودها بكل بسالة وحكمة في هذه المرحلة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين وقائد الدولة المتطورة ، بدعم كبير ومؤثرٍ وفعالٍ من قبل صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الذي يقف بكل عزيمة وثبات وراء المشروع الإصلاحي الذي أطلقه جلالة الملك المفدى وفتح أبواب المشاركة الفعلية والمباشرة في نسيج واحد يمثل العلاقة الجديدة بين الحكومة والشعب ، وتفعيل دور المواطنين وزيادة مشاركتهم وإسهاماتهم في عملية البناء والتنمية من أجل صالح الوطن وأبنائه .

إنَّ الخطوات الرائدة والعطاءات الفعالة التي قدمها سموه بكل تفانٍ وحب وإخلاص وحرفنة طوال أكثر من ثلاثين عاماً ، تدل بشفافية ومصداقية على تميزه ، وقيادته ، وريادته ، حيث وضع المملكة في هذه المكانة الرائدة المتقدمة الرفيعة بين دول العالم بالرغم من صغر حجمها وقلة سكانها إلا أنه بحكمته حفظ لها حصانتها ومكانتها ، وجعل لها صوتاً مسموعاً بين الدول .

لقد أعلن العالم من خلال هيئته العليا للأمم المتحدة شهادته على عطاء وإنجاز وتميُّز صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة باعتباره رجل دولة قيادي من الطراز الأول ومنحه جائزة الشرف الدولية للإنجاز المميز في مجال التنمية الحضرية والإسكان لعام (٢٠٠٦)من قبل برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية ، وتقديراً لدوره وإنجازاته الكثيرة في مشروعات التنمية الشاملة في مملكة البحرين .

وقد أجمع القياديون والساسة في العالم على أحقية سموه بنيل هذه الجائزة ، وجدارته واستحقاقه لها تأكيداً لدوره ومساهمته وانجازاته في كل هذه السنوات الطويلة المليئة بالعطاء والعمل الدؤوب في بناء مملكة البحرين الحديثة وتأسيس مشروعاتها التنموية التي صنعت منها مركزاً إقليمياً وعربياً وعالمياً في الكثير من المجالات الاقتصادية والتنموية .

وقد أعرب صاحب السمو الشيخ خليفة في يوم تكريمه بأن هذا التكريم ليس له شخصياً وحسب إنما هو تكريم في المقام الأول لصاحب الجلالة الملك المفدى رجل الدولة الأول وصاحب المبادرات لدعم كل الأعمال التنموية والمشروعات الاقتصادية التي نقوم بها في مملكة البحرين المتمثلة بدعم وتوجيه ومؤازرة جلالته للخطط والبرامج والمشروعات التي أثرت بفضلها في زيادة العمل للارتقاء والنماء ورفاهية الوطن والمواطنين .

وقال سموه أيضاً بأنها جائزة لشعب مملكة البحرين جميعاً نظير عطائهم وجهودهم ومشاركتهم في جميع الخطط والبرامج من خلال مواقعهم المختلفة وهي في النهاية تكريم لنا جميعاً .

جامعة لورنس الأمريكية تمنحه الدكتوراة في احتفالية كبرى

و تقديراً للدور الكبير الذي يضطلع به الشيخ خليفة في المجالات الإنسانية والتنموية على الصعيدين المحلي والدولي ، وما أنجزه سموه في سبيل الارتقاء بالفرد البحريني ، قرر مجلس أمناء جامعة لورنس الأمريكية منحه الدكتوراة الفخرية في احتفالية كبيرة أقيمت بهذه المناسبة في الولايات المتحدة الأمريكية. جرى ذلك خلال استقبال صاحب السمو رئيس الوزراء بقصر القضيبية البروفيسور لويس ولكر رئيس جامعة لورنس الأمريكية، الذي قدم إلى سموه رسالة تتضمن مبررات قرار مجلس أمناء الجامعة بمنح سموه الدكتوراة الفخرية.

وخلال اللقاء نوه صاحب السمو رئيس الوزراء بعلاقات الصداقة والتعاون التي تربط مملكة البحرين بالولايات المتحدة الأمريكية والتي تشهد نمواً في مختلف المجالات ومنها المجال التعليمي، مؤكداً سموه أن سياسة الحكومة واضحة تجاه تشجيع الاستثمار في التعليم بشكل يدعم التوجه الرسمي نحو الارتقاء بجودة التعليم.

وأشار سمو رئيس الوزراء إلى أن الخطط والبرامج الحكومية تستشرف دائماً احتياجات المواطن البحريني للوفاء بها وتلبيتها، مؤكداً سموه أن ثروة البحرين تكمن في أبنائها ولذا كانت جميع خطط الحكومة منحازة صوب تنمية الإنسان البحريني والارتقاء بحياته المعيشية، معرباً سموه عن فخره بانشغال المؤسسات العالمية التعليمية المتخصصة بمملكة البحرين ورصدها للإنجازات البحرينية في مختلف المجالات، وأكد سموه أننا نفخر ونعتز حينما نكرم لجهود بذلناها لخدمة أبنائنا الذين كرمونا بالتعبير عن رضاهم بما قدمته لهم الحكومة من خدمات، معرباً سموه عن سعادته باختيار جامعة عريقة كجامعة لورنس الأمريكية سموه لمنحه الدكتوراة الفخرية وما سوغته لذلك من مبررات تدل على متابعتها

عن كثب لما يتم في مملكة البحرين من مشروعات تنموية كبرى ، والتنمية الشاملة التي شهدتها البلاد خلال فترة زمنية قصيرة،لافتاً سموه إلى أن هذا التكريم يدفعنا إلى مزيد من العمل وبذل الجهود الممكنة لخدمة هذا الوطن وشعبه العزيز.

وإننا إذ نشكر لسموه ما قدمه بإخلاص ومصداقية لهذا الوطن المعطاء ، ونبارك له هذا التميز المشرف لنا نحن أبناء مملكة البحرين ؛ فإن الواجب يقتضي منا – في هذه العجالة – أنْ نذكر نبذة يسيرة عن حياته – حفظه الله ورعاه – .

سمو الشيخ خليفة يستقبل رئيس جامعة لورنس

المولد والسيرة :

ولد سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة ، يوم الأربعاء الموافق ٢٢ نوفمبر عام ١٩٣٦، ونشأ في رعاية والده الحاكم الذي أعده للاضطلاع بالمسؤولية وتحمل الأمانة . تعلم القرآن الكريم على يد أشهر المشايخ في البحرين في ذلك الوقت ولم يكد سموه يبلغ من العمر السابعة حتى أصدر الوالد أوامره بأن ينتظم في حضور مجلس سموه . وهنا بدأ يتفتح ذهنه على ما يدور في الحياة العامة وما يشغل مجلس والده ، وعلى السياسة . وفي هذه الأثناء عين الوالد مجموعة من أكفأ معلمي ذلك الوقت ليقوموا بتعليمه المواد الأساسية ، ثم التحق بإحدى المدارس التابعة للحكومة . وفي عام ١٩٥٧ابتعث الشاب خليفة للدراسة في بريطانيا على فترات متقطعة حتى عام ١٩٥٩ .

المناصب والمهام التي تولاها :

- مساعداً في ديوان والده الحاكم (آذار /مارس ١٩٥٣م)
- عضواً في لجنة بحث مشكلة الإيجارات (٦أيلول /سبتمبر ١٩٥٤م).

في الأول من أيلول / سبتمبر عام ١٩٥٤م ، عين عضواً ضمن لجنة الإيجارات ، التي شكلها الشيخ سلمان بن حمد حاكم البحرين (١٩٤٢-١٩٦١) لدراسة مشكلة الإيجارات، التي طرأت آنذاك ضمن مجموعة مشكلات اجتماعية واقتصادية ، تمخضت عن آثار الحرب العالمية الثانية على البحرين .

- رئيساً لمجلس المعارف (٣١كانون الثاني / يناير ١٩٥٧م).
- قائماً بأعمال سكرتير حكومة البحرين (٢٦آب /أغسطس ١٩٥٨م).
- رئيساً لمالية الحكومة (١٦تشرين ثاني /نوفمبر ١٩٦٠م).

- رئيساً لمجلس الري (١٩تشرين ثاني /نوفمبر ١٩٦١م).
- رئيساً لبلدية المنامة (١٥ايار / مايو ١٩٦٢م).
- رئيساً لمجلس النقد (٩كانون ثاني / ديسمبر ١٩٦٤م).
- رئيساً لمجلس استئناف قضايا الهجرة والإقامة للأجانب (٩آب / أغسطس ١٩٦٥م).
- رئيساً للمجلس الإداري (٢أيار /مايو ١٩٦٦م).
- رئيساً لمجلس الدولة (١٩كانون ثاني /يناير ١٩٧٠م).

بعد التوقيع على وثيقة إنهاء المعاهدة الخاصة التي كانت قائمة بين البحرين والمملكة المتحدة في الخامس عشر من آب /أغسطس عام ١٩٧١م ، صدر عن سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين _ مرسوم بشأن إعادة التنظيم السياسي والإداري للبلاد . تم تغيير اسم إمارة البحرين إلى دولة البحرين ، وكذلك لقب حاكم البحرين وتوابعها إلى أمير دولة البحرين . وتبع ذلك صدور مرسوم آخر بإعادة التنظيم الإداري للدولة ، حيث تم تغيير مسمى مجلس الدولة إلى مجلس الوزراء ورئيس مجلس الدولة إلى رئيس مجلس الوزراء وأعضاء مجلس الدولة إلى وزراء . وبدأ مجلس الوزراء برئاسة سمو الشيخ خليفة عمله منذ اليوم الأول ، وهو يضع نصب عينيه العمل على تحقيق الطموحات سريعاً ودون توقف ، حتى يتم وضع البحرين في إطار الدول الحديثة ، وحتى تتحقق تطلعات وآمال الشعب .

كما تولى سموه العديد من المناصب الأخرى التي ما يزال يقوم بها بالإضافة إلى رئاسة مجلس الوزراء .

- رئيس مجلس إدارة مؤسسة نقد البحرين في الخامس من كانون ثاني /ديسمبر عام ١٩٧٣ تم إنشاء مؤسسة نقد البحرين لتحل محل مجلس نقد البحرين . وتولى سمو الشيخ خليفة رئاسة مجلس إدارة المؤسسة التي تتلخص مهمتها الأساسية في تحويل البحرين إلى مركز مالي ومصرفي رئيسي في منطقة الشرق الأوسط وتقوم المؤسسة بتنظيم عمليات إصدار النقد وتداوله وعمليات الصرف الأجنبي والرقابة على البنوك،بالإضافة إلى المحافظة على ثبات قيمة الدينار البحريني والعمل على تأمين الاستقرار النقدي .
- رئيس مجلس الدفاع الأعلى : الذي تم تشكيله في ٨ ديسمبر عام ١٩٧٣م ويضم في عضويته كلاً من القائد العام لقوة دفاع البحرين ووزراء الدفاع والخارجية والداخلية والمالية ، وعدداً من الوزراء ويتولى المجلس مسؤوليات الشؤون العليا للدفاع والمحافظة على سلامة الوطن .
- رئيس المجلس الأعلى حيث يختص هذا المجلس الذي تم تأسيسه في تشرين ثاني/نوفمبر عام ١٩٨٠م بوضع السياسات النفطية العامة بما يضمن المحافظة على الثروة النفطية وتطوير تحديث استغلالها ، والإشراف على ما يتم إنشاؤه من مؤسسات نفطية وتنمية الصناعات المرتبطة بالنفط .
- رئيس مجلس الخدمة المدينة : أنشئ ديوان الخدمة في شهر نيسان / أبريل ١٩٨٢م ، وتتخلص مهام هذا المجلس في وضع السياسات الخاصة بالتوظيف وتحديد حاجة

الجهاز الحكومي من القوى العاملة . كما تشمل هذه المهام وضع البرامج الضرورية لرفع مستوى الكفاءة والإنتاجية بين العاملين في الحكومة ، والمؤسسات التي تساهم في ملكيتها .

- رئيس المجلس الأعلى للتنمية الاقتصادية : تم تشكيل المجلس الأعلى للتنمية الاقتصادية برئاسة سمو الشيخ خليفة في الأول من حزيران /يونيو عام ٢٠٠٠م . ويضم المجلس في عضويته كلا من صاحب السمو ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين ـ وعدد كبير من الوزراء بالإضافة لعدد من الشخصيات الاقتصادية في البلاد . ويتولى المجلس مسؤوليات التخطيط وتفعيل الشؤون الاقتصادية في البحرين .

ولسمو الشيخ خليفة تاريخ حافل بالإنجازات والمبادرات الإيجابية الفعالة والمؤثرة في حياة المجتمع على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية و الاجتماعية والثقافية والإنسانية حيث يرجع لسموه الفضل في الكثير من المشروعات والقوانين التي وضعت مملكة البحرين ضمن الدول المتقدمة في التشريعات والتنظيمات في مختلف جوانب الحياة ، باعتراف المنظمات الدولية والحكومات من مختلف أنحاء العالم ، كما يقود سموه المبادرات الاقتصادية ، ويعمل بكل كفاءة في تشجيع الاستثمارات والمستثمرين من مختلف دول العالم للاستثمار ، وعمل المشروعات الكبرى في المملكة كما يقوم سموه بمتابعة دأوبة وفعالة لتطوير جميع التشريعات والضمانات والتسهيلات من أجل تشجيع المستثمرين والشركات العالمية للعمل والاستثمار في مملكة البحرين .

حيث أصبحت البحرين بفضل قيادته الفذة والحكيمة من أهم وأكبر المراكز المالية في منطقة الشرق الأوسط ، كما تحتل المملكة بفضل حكمته مكانة مرموقة في مجال التنمية والموارد البشرية حيث تعتبر المملكة من أهم المراكز الإقليمية في مجال التدريب والتنمية البشرية ، وإقامة المؤتمرات العالمية المتخصصة ، والاهتمام بالتعليم من خلال ارتباطاتها بشبكة من الجامعات والمعاهد الإقليمية والعالمية التي تتخذ من مملكة البحرين مقراً لها .

---

* الأستاذ مبارك بن سعد العطوي إعلامي بارز ، وناشط في مجال الرياضة ؛ وهو إلى ذلك إداري ناجح عُين وكيلاً مساعداً لوزارة الإعلام بالبحرين .
الأستاذ مبارك عضو ومقرر مجلس أمناء جائزة يوسف بن أحمد كانو .